Volume 19, No. 2 December 2022

JOURNAL OF

Islam in Asia

A Refereed International Biannual Arabic – English Journal

إنما يخشى الله من عباده العلماء

INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY MALAYSIA

JOURNAL OF Islam in Asia

Volume 19, No. 2 December 2022

ISSN: 1823-0970 E-ISSN: 2289-8077

Journal of Islam in Asia

EDITOR-in-CHIEF
Abdul Salam @ Zulkifli B.Muhamad Shukri

EDITOR
Noor Azlan B. Mohd Noor

ASSOCIATE EDITOR
Homam Altabaa

COPY EDITOR
Nur Mashitah Wahidah Bt. Anuar

EDITORIAL ADVISORY BOARD

LOCAL MEMBERS

Abdel Aziz Berghout (IIUM)
Muhammed Mumtaz Ali (IIUM)
Nadzrah Ahmad (IIUM)
Rahmah Bt. A. H. Osman (IIUM)
Sayed Sikandar Shah (IIUM)
Saidatolakma Mohd Yunus (IIUM)
Thameem Ushama (IIUM)

INTERNATIONAL MEMBERS

Abdullah Khalil Al-Juburi (UAE)
Abu Bakr Rafique (Bangladesh)
Anis Ahmad (Pakistan)
Fikret Karcic (Bosnia)
Muhammad Al-Zuhayli (UAE)
Zafar Ishaque Ansari (Pakistan)

Articles submitted for publication in the *Journal of Islam in Asia* are subject to a process of peer review, in accordance with the normal academic practice.

© *2022 by* ***International Islamic University Malaysia***

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced, translated, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without prior written permission of the publisher.

E-ISSN: 2289-8077

Journal of Islam in Asia
Vol.19, No. 2, December 2022
DOI: https://doi.org/10.31436/jia.v19i2

المقالات العربية

- **مجلس الإدارة وتعزيز حوكمة شركات المساهمة العامة وفقًا لقانون الشركات التجارية العماني رقم 18/2019** **1**
أفلح بن سلطان بن محمد الشعيبي، د.بدرالدين بن الحاج إبراهيم

- **مفهوم الملكات وأهميتها في العمران البشري من خلال رؤية ابن خلدون** **31**
أحمد البرعمي، وعبد العزيز برغوث

- **أساليب تنمية الكفاءات في الحضارة الإسلاميَّة وتطبيقاتها المعاصرة:دراسة تحليليَّةلإسهامات عمر بن عبد العزيز** **57**
بخيت سعيد الحمر، فطمير شيخو

- **الأوقاف ودورها في الحضارة الإسلاميَّة "وقف عثمان بن عفان نموذجًا"** **97**
مسلم نصيب سعيد البرعمي، همام الطباع

- **دَوْ رُ التَّخطيطِ في شؤونِ الدَّولةِ في الحضارةِ الإسلاميَّةِ:دراسة تحليليَّة لنموذج عمر بن الخطا ب** **148**
يوسف علي العوائد، تميم أسامة

- **صورة الآخر في رواية "صباحات في جنين" لسوزان أبو الهوى** **188**
بشرى بشير أحمد، رحمة أحمد عثمان، وعاصم شحادة علي

English Articles

- **Tawhid in Practice: Management Students' Reflections on Surah al-Anfal and Surah at-Taubah** **238**
Rodrigue Fontaine and Ibrahim Nuhu

- **The Concept of Papal Infallibility in Christianity and 'Iṣmah (Sinlessness) in Islam: A Comparative Study** **263**
Muhammad Zamir Syahmi bin Zainudin and Thameem Ushama

- **Rethinking Consociationalism and Coalition Politics in Malaysia** **295**
Abdul Wahed Jalal Nori

- **Role of Worldview in Family Empowerment Plans: Proposed Islamic Integrated Framework** **316**
Abdelaziz Berghout

- **The Villainous East Versus The Heroic West: A Postcolonial Analysis of The Kite Runner and its Portrayal of Muslim Afghanistan** **347**
Homam Altabaa and Nik Nayly Binti Nik Nubli

صورة الآخر في رواية "صباحات في جنين" لسوزان أبو الهوى[1]

The Image of The Other in The Novel of "Mornings in Jenin" by Susan Abulhawa

Imej 'Pihak Lain' atau 'The Other' dalam Novel "Morning in Jenin" karya Susan Abulhawa

بشرى بشير أحمد*، رحمة أحمد عثمان**، وعاصم شحادة علي***

الملخّص

تشكل صورة الآخر محورا أساسيا يحضر مع الحديث عن الدراسات المختصة بالأدب الفلسطيني، ولكون الرواية جزءا أساسيا في تصوير الواقع الفلسطيني ونقل هموم ساحته إلى القارئ، فقد تناولته الرواية الفلسطينية مع بداية ظهورها بمختلف شخصياته وأبعاده كما هو حاضر في واقعها بشكل يومي ومباشر، وقد برز مؤخرا موضوع ذو أهمية يوجه الأدباء والنقاد للتعرف عليه عن قرب في دراستهم لما يختص بدراسة الأدب الفلسطيني نثرا وشعرا؛ لحضوره الذي يتزامن مع حضور الذات الفلسطينية، وعليه تسعى الدراسة

[1] بحث مستل من أطروحة دكتوراه مقدمة في تخصص الأدب العربي الحديث في قسم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

* طالبة دكتوراه بقسم اللغة العربية وآدابها، تخصص الأدب العربي الحديث، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، البريد الإلكتروني: 63185509@uofn.edu.om

** أستاذ بقسم اللغة العربية وآدابها، كلية عبدالحميد أبو سليمان لمعارف الوحي والعلوم الانسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، البريد الإلكتروني: rahmahao@iium.edu.my

*** أستاذ ورئيس قسم اللغة العربية وآدابها، كلية عبدالحميد أبوسليمان لمعارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، البريد الإلكتروني: muhajir@iium.edu.my

الجامعة الإسلامية العالمية الماليزية

مجلة الإسلام في آسيا
المجلد 19، العدد 2، ديسمبر 2022
E-ISSN: 2289-8077
DOI: https://doi.org/10.31436/jia.v19i2.1107

للبحث في صورة الآخر، إلى اتباع منهج التحليل الوصفي والتعرف على أبعادها وأهم الشخصيات التي تمثلتها والدوافع التي حملتها تجاه الذات الفلسطينية وأرضها من خلال العمل الروائي "صباحات في جنين" للكاتبة سوزان أبو الهوى، بوصفه نتاجا برز مؤخرا ضمن نتاج الأدب الفلسطيني الحديث، والذي شكَّلت فيه صورة الآخر اليهودي والصهيوني فيها محورا أساسيا بوصفه طرفا مضادا في مواجهة الذات الفلسطينية.

الكلمات المفتاحية: صورة الآخر، سوزان أبو الهوى، دراسة في رواية، رواية صباحات في جنين.

Abstract

The image of the other is one of the major focuses when it comes to the discussion of Palestinian literature. Since novels are essential literature that helps to portray the Palestinian reality and convey the concerns of the Palestinian reality to the readers, the Palestinian novel has dealt with the image of the other, its various characters, and their multiple dimensions at the beginning of their appearance as part of the Palestinian literature. The image of the other has recently emerged as a topic of importance that writers and critics tend to get acquainted with closely in the field of Palestinian literature either in the form of prose or poetry for its presence coincides with the presence of the Palestinian self. Accordingly, the study seeks to research the image of the other based on the descriptive analysis method in order to identify its dimensions, the important characters, and the real motives towards the Palestinian self and land, through the novel "Mornings in Jenin" by Susan Abulhawa. This novel has recently emerged as prominent work of modern Palestinian literature, in which the image of the other, Jewish and Zionist, forms an essential axis as a counterpart against the Palestinian self.

Keywords: The Image of The Other, Susan Abulhawa, “Mornings in Jenin” Novel.

Abstrak

Imej ‘pihak lain’ atau ‘the other’ merupakan salah satu fokus utama dalam perbincangan berkenaan sastera Palestin. Memandangkan novel merupakan bahan sastera penting yang membantu dalam menggambarkan realiti Palestin dan juga menyampaikan kebimbangan tentang realiti Palestin kepada para pembaca, novel Palestin telah mengetengahkan imej ‘pihak lain’, kepelbagaian karakter serta kepelbagaian dimensi pada fasa awal kemunculannya sebagai sebahagian daripada sastera Palestin. Baru-baru ini, imej ‘pihak lain’ telah muncul sebagai topik penting kepada para penulis. Para kritik juga semakin cenderung untuk memahami sastera Palestin sama ada dalam bentuk prosa atau puisi memandangkan kehadiran bahan-bahan sastera ini bertepatan dengan perbincangan tentang konsep ‘diri’ Palestin.

Sehubungan itu, kajian ini akan mengkaji imej 'pihak lain' berdasarkan kaedah analisis deskriptif untuk mengenalpasti dimensi-dimensi, karater-karakter penting dan juga motif sebenar bagi konsep 'diri' dan tanah Palestin melalui novel "Morning in Jenin" karya Susan Abulhawa, novel yang baru-baru ini dikenali dalam bidang kesusasteraan moden Palestin yang mana imej 'pihak lain', Yahudi, dan Zionis membentuk paksi penting yang bertentangan dengan konsep 'diri' Palestin.

Kata Kunci: Imej 'Pihak Lain', Susan Abulhawa, Novel "Mornings in Jenin".

المقدمة

تتعقد العلاقة القائمة بين الذات الفلسطينية والآخر الإسرائيلي وتتشابك في ظل الصراع القائم بينهما، فبالنسبة للذات الفلسطينية كان هذا الآخر ولم يَزل عدوا من نوع خاص تتابعت اعتداءاته الداخلية والخارجية على العرب وغير العرب على حد سواء في التاريخ القديم والحديث والمعاصر، ومع أن للوطن العربي علاقات مع آخرين كثيرين غيره، منهم الجامح والسلبي والمقبل والمدبر، إلا أنه يظل للصهيوني وضع خاص، فعنده ومنه جلمود من العنف والعدوان ورغبة في سحق حقوق الذات الفلسطينية، تغذيه في ذلك تشكيلته الخاصة التي تزودت بروافد دينية وسياسية، تاريخية ومعاصرة، وقد تحقق الوصل والتطابق بين اليهودي والإسرائيلي مرتبطا باختيار الكيان الصهيوني لاسم "إسرائيل" كاسم لتجمعاتهم الاستعمارية، وهو اختيار يأتي كذلك محملا بدلالات دينية وسياسية عنصرية، استدعت لدى العرب والمسلمين مرجعية دينية مستمدة من النص الديني الإسلامي والأحداث التاريخية في الربط بين اليهودي والإسرائيلي، فكانت الصفات التي اتسم بها اليهود والتي تمركزت حولهم هي خيانتهم للعهود، ومساومتهم في الأمور حتى المقدس منها، وقتلهم للأنبياء، وحبهم الجشع للمال، وهي صفاتٌ تأكدت في ممارساتهم المبكرة في الجزيرة العربية منذ فجر الإسلام، وقبلَها في الغرب، ولما كانت أفعالهم على الأراضي الفلسطينية وما جاورها موافقة لتلك

الصـفات الواردة في النصـوص الدينية حول اليهود وأخلاقهم وممارسـاتهم اليومية ظهر هذا التطابق، وأصبح الربط موضوعيا ومنطقيا بين الجانب الديني والسياسي لديهم، وظلت هذه العلاقة القائمة بين الطرفين محط أنظار اهتمام الباحثين؛ حيث ارتبط موضـوع صـورة الآخر بالقضية السياسية، والصدامات العسكرية بين أطراف النزاع، ويحدد هذان المتغيران موقف كل جماعة من الجماعات الأخرى ويشكلان العامل الأساسي في رسم صورة الآخر.[2]

وبحكم ما تميزت به الرواية كصنف أدبي من اتساع في الطرح وكونها انعكاسا لواقع حياة الأفراد وهمومهم فقد تعاملت الرواية العربية منذ تجاربها المبكرة وحتى الآن مع ما تطرحه إشكالية صورة الآخر التي أصبحت ثيمة محورية في الخطاب الروائي[3]. من هذا المنطلق ظهرت رواية صـباحات في جنين، لتؤرخ من عُمق الريف الفلسـطيني حكاية أهالي قرية عين حوض المهجَّرة، التي بقيت شاهدة على إجرام العصابات الصهيونية الممتد، والذي لحقت آثاره بها منذ بدأ أحداث النكبة عام 1948م، وتسعى الدراسة للتعرف عن قرب على صورة الآخر من خلال العمل والتعرف على الأبعاد التي ميزت شخصيات الآخر في الرواية من أربعة أبعاد كانت الأبرز في العمل الروائي.

---

[2] انظر: عزيز حيدر، الآخر العربي والآخر الفلسطيني والآخر الإسرائيلي في نظر الفلسطينيين في إسرائيل، بحث منشور في كتاب صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه، تحرير: الطاهر لبيب، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، الجمعية العربية لعلم الاجتماع، ط1، 1999 م)، ص699-700.

[3] انظر: فتحي أبو العينين، صورة الذات وصورة الآخر في الخطاب الروائي العربي: تحليل سيسيولوجي لرواية محاولة للخروج، بحث منشور في كتاب: صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه، المصدر السابق، ص811.

الأهداف

تسعى هذه الدراسة إلى التعرف على العمل الروائي "صباحات في جنين" للكاتبة سوزان أبو الهوى، والتعرف عن قرب على صورة الآخر من خلاله، وأهم الشخصيات التي تمثلتها، والأبعاد التي ميزتها، ومدى التأثير الذي تركته على الذات الفلسطينية بوصفها طرفا مضادا خلال أعوام الحرب القائمة، وذلك اعتمادا على المنهج الوصفي التحليلي في الدراسة.

مشكلة البحث

تسعى الدراسة إلى الإجابة عن أهم الإشكاليات التي تعترض الدراسة، والإجابة عن الأسئلة الآتية:

ما أهم الصفات التي ميزت صورة الآخر اليهودي والآخر الصهيوني من خلال العمل الروائي صباحات في جنين؟ وإلى أي مدى استطاعت سوزان أبوالهوى تجسيد صورة الآخر بواقعية؟ وهل نجحت سوزان أبو الهوى بتقديم صورة الآخر بمختلف دوافعها وخلفياتها مع الاحتفاظ بموضوعية تجاهه؟

صورة الآخر

يأتي باب دراسة الآخر وصورته كفرع من الفروع التي يختص بدراستها علم الصورولوجيا، وقد اتخذت دراسات الصورولوجيا مؤخرا مكانتها البارزة ضمن العلوم الانسانية ومختلف الآداب القومية[4]. يعود أصل مصطلح الصورولوجيا إلى اللفظة اللاتينية ''imago''،

[4] انظر: أسماء يوسف ديّان صالح، الصورولوجيا في الرواية مقارنة بين روايات عربية وأميركية مختارة، (رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، بغداد، جامعة ذي قار، كلية التربية للعلوم الانسانية، قسم اللغة العربية، 2014م)، ص2.

وتعني: الصـــورة أو انعكاس النمط، ودراســـة الصـــورة أو تمثيل الآخر هو ما يصـــنع هدفَ وموضوع وقصد الصورولوجيا؛ لكونه علما تتعدد فيه التخصصات والحالات التواصلية، كما يدرس الصور وطريقة بلورتها كجزء من الفرد والروح الجماعية، اعتمادا على أبعاد التفسير التي تقدمها الجماعات البشـــرية خلال مراحل تطورها التاريخي، ويهدف علم الصـــورولوجيا إلى دراسة الصور التي تُصنع من قبل الشعوب ذاتها: صورة الذات أو صورة الشعوب الأخرى: الصـــورة المغايرة منها وقد أصـــبحت نقطة هامة لجذب المؤرخين، وموضـــع اهتمام دراســـات الأدب المقارن.[5]

وقد ركزت العديد من الدراسات المختصة بالصورولوجيا على نصوص تضمنت قصصا تحكي عن تلاقي الشعوب والحضارات في حالات السِّلم مثل أدب الرحلات، أو حلات العداوان على الشـــعوب مثل قصـــص الحروب والاحتلال[6]؛ حيث شـــكلت ثنائية الأنا والآخر علاقة ارتباطية متلازمة يســـتدعي حضـــور أحدهما حضـــور الآخر، كما يشـــكِّل تغير أحدهما تغيُّر الآخر، فحالة الأنا والآخر قابلتان للتغيُّر بتغير الأفكار والأحداث والمعطيات، وطبيعة العلاقة بينهما لابدَّ وأن تختلف باختلاف الشروط التي يمليها الواقع، فتختلف صورة الأنا عند تقبُّلها للآخر عن صـورتها عند رفضِـه، وتُحدِّد العلاقة بينهما سـلباً أو إيجاباً، فهي في علاقة جدلية دائمة بالآخر، سواء أكان الآخر هو الأنا في صورتها الأخرى، أم الآخر متمثلا في الأفراد أو الموضـوعات أو الطبيعة أو العالم، كما يلعب الآخر دورا أسـاسـيا ورئيسـاً في فهمنا وإدراكنا لحقيقة الأنا، وقد تعدُّ الأنا في المنظور الاجتماعي نتاجاً لعملية التفاعل الاجتماعي، فنظريات

---

[5] المصدر السابق، ص2-3.

[6] انظر: مسعود شكري، صورة الآخر الإسرائيلي في رواية المتشائل لإميل حبيبي، (طهران: مجلة إضاءات نقدية، فصلية محكَّمة، العدد السادس والعشرون، يونيو 2017م)، ص2.

الأنا والذات تتركز على إدراك الفرد لكيفية رؤية الأفراد الآخرين له، وعلى مُقارنة نفسه بالأنماط الاجتماعية الموجودة من حوله، فلا يمكن فهم "أنا" الفرد وذاته إلا في ضوء مشاركته وتفاعله مع غيره من أعضاء المجتمع.[7]

وهو ما يتشكل في العالم الروائي من خلال شبكة من العلاقات المتقاطعة تتداخل فيها الذات مع الآخر، فيبعث الرواي إبداعه ويؤسسه على خلفية حقيقية قد تمثل وجوده في الحياة وانتسابه لهويَّة معينة، فيطابق في خطابه السردي أحداثا من واقعه تعكس صوره في فترات حزينة وأخرى سعيدة.[8]

وقد توافق مع بداية ظهور الرواية الفلسطينية عرض صورة الآخر بأنماط معينة، فكان النَّمط الآول لظهور الآخر اليهودي في الرواية الفلسطينية في العشرينات هو النمط المحترف لأعمال الرِّبا والسمسرة والغش في التجارة ونصب الأفخاخ، في حين استقر الوعي التقليدي عند البعض على الاكتفاء بمقولة الشر والكراهية، فرأوا في اليهودي شراً خالصا ينتج عنه يقين إلى نصرة الخير، ويتطور هذا الوعي التقليدي لاحقا حين يُصبح الروائي أكثر إدراكا لصورة الآخر، ويعود السبب في ذلك لتأثُّر النظرة إلى الذات والآخر بالظروف السائدة التي جمعت بين الطرفين، وهي في الغالب ذات طابع سلبي بل في العديد من الأحيان عدائيّ بين الذات الفلسطينية والآخر الصهيوني، لكونهما نقيضان لبعضهما، هذه الظروف التي تغيرت

---

[7] انظر: أنور محمد الطورة، تحولات الرؤيا في شعر محمود درويش، (أطروحة دكتوراه في الدراسات الأدبيَّة، الأردن، جامعة مؤتة، 2016م)، ص161.

[8] انظر: مازية حاج علي، الهويّة وسرد الآخر في روايات غسان كنفاني، (أطروحة دكتوراه، الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربية، تخصص أدب عربي حديث ومعاصر، 1438هـ-2017م)، ص34.

بتغير الواقع من حولهما، فأصبح الفلسطيني مع مرور الأحداث التاريخية المصاحبة للنكبة وما بعدها أكثر معرفة باليهودي والصهيوني، وأكثر مقدرة على الحديث عنه، بعد أن أصبح أكثر تداخلا معه، ومعرفة بطباعه، وأكثر حذرا منه.[9]

سوزان أبو الهوى

ولدت سوزان أبو الهوى في الكويت لأُسرة من ضحايا نكسة 1967م، عندما استولت جماعات صهيونية على أراضي أُسرتها، وتعددت المحطات التي مرت بها سوزان بين القدس والأردن، وانتقلت في عمر مبكرة للعيش في دار الأيتام وعدة بيوت للرعاية، حتى استقرت في عمر المراهقة في الولايات المتحدة الأمريكية؛ حيث حصلت على شهادة في علم الطب الحيوي، وبدأت حياتها المهنية في مجال العلوم الطبية، وفي تموز (يوليو) 2001م، أَسَّست سوزان أبو الهوى (مَلاعب من أجل فلسطين)[10] وهي مؤسسة تُكرِّس عملها لدعم الأطفال الفلسطينيين وحقهم في اللعب الآمن. تعيش سوزان أبو الهوى حاليا مع ابنتها في ولاية "بنسلفانيا"[11]. سوزان أبوالهوى شاعرة وروائية وعالمة أحياء وأم، وهي أيضا محللة

---

[9] انظر: مسك مصطفى مرّار، الشخصية في الرواية الفلسطينية روايات أنور حامد أنموذجا، (رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، فلسطين، جامعة بيرزيت ، د.س)، ص78-79.

[10] https://playgroundsforpalestine.org/meet-us/

[11] انظر: سوزان أبوالهوى، **بينما ينام العالم**، ترجمة: سامية شنان تميمي، (قطر: دار بلومزبري- مؤسسة قطر للنشر، ط1، 2012م)، ص479.

سياسية وناشطة في مجال حقوق الإنسان[12]، ومعلقة على الشؤون السياسية في العديد من المواقع والمحطات الإخبارية[13].

صدر للكاتبة مجموعة شعرية بعنوان: (My Voice Sought The Wind)[14] "سعى صوتي للريح"، وثلاثة أعمال روائية:

(Mornings In Jenin)[15] تم ترجمتها في النسخة العربية إلى "صباحات في جنين" تحت اسم "بينما ينام العالم"[16]، ورواية:

(The Blue Between Sky and Water)[17] تم ترجمتها إلى "الأزرق بين السماء والماء"[18]،

(Against the Loveless World)[19] تُرجمت إلى اللغات السويدية والألمانية[20] ولم تترجم إلى اللغة العربية بعد.

---

[12] انظر: سوزان أبوالهوى، **الأزرق بين السماء والماء**، ترجمة: محمد عصفور، (قطر: دار جامعة حمد بن خليفة للنشر، الدوحة، ط1، 2018م)، ص306.

[13] المصدر السابق، ص303.

[14] Abulhawa, Susan. *My voice sought the wind*. Just World Books, 2013.

[15] Abulhawa, Susan. *Mornings in Jenin*. Bloomsbury Publishing, 2010.

[16] سوزان أبو الهوى، **بينما ينام العالم**، المصدر نفسه.

[17] Abulhawa, Susan. *The blue between sky and water*. Bloomsbury Publishing, 2015.

[18] سوزان أبو الهوى، **الأزرق بين السماء والماء**، ترجمة: محمد عصفور، (قطر: دار جامعة حمد بن خليفة للنشر، ط1، 2018م).

[19] Abulhawa, Susan. *Against the Loveless World: A Novel*. Simon and Schuster, 2020.

[20] المصدر السابق، ص293.

رواية صباحات في جنين

"بينما ينام العالم" هي الترجمة العربية لسامية شنان تميمي[21] عن العمل الروائي الأول لسوزان أبو الهوى صباحات في جنين (Mornings In Jenin)[22]. أطلق على العمل بداية صدوره اسم (The Scar of David) "ندبة داود"[23] نسبة لإحدى الشخصيات المحورية التي تدور حولها أحداث العمل الروائي، وهو إسماعيل الحفيد الأصغر لعائلة أبو الهيجا، والذي يتعرض للاختطاف وهو طفل رضيع من قِبل عائلة صهيونية أثناء عملية التهجير القسري التي تتعرض لها قرية عين حوض عام 1948م وتُطلق عليه اسم "دافيد إبرام". المطبعة الناشرة للعمل الروائي توقفت عن العمل بعدها بوقت قصير، تُرجم أثناءها العمل إلى اللغة الفرنسية ونشرتها دار "بوشيه/ شاستل" تحت عنوان "صباحات في جنين"، وبعد مرور سنتين أعادت دار بلومزبري نشرها باللغة الانجليزية بالعنوان نفسه، وأُطلق على النسخة العربية منها اسم "بينما ينام العالم".[24]

عُدَّت رواية "صباحات في جنين" مؤخرا من أكثر الكتب مبيعا على نطاق دولي، وقد لاقت ترحيبا شديدا، وتم ترجمتها إلى 28 لغة،[25] ونشرت في تسعة عشر بلدا.[26]

---

[21] سوزان أبو الهوى، **بينما ينام العالم**، المصدر نفسه.

[22] Abulhawa, Susan. *Mornings in Jenin*. Bloomsbury Publishing, 2010.

[23] Abulhawa, Susan. *The Scar of David: A Novel*. Journey Publications, 2006.

[24] سوزان أبو الهوى، **بينما ينام العالم**، المصدر نفسه، ص473.

[25] انظر: سوزان أبو الهوى، **الأزرق بين السماء والماء**، المصدر نفسه، ص303، 304.

[26] انظر: سوزان أبو الهوى، بينما ينام العالم، المصدر نفسه، ص479.

تحكي الرواية قصة أربعة أجيال من عائلة "أبو الهيجا" المستقرة قبل أحداث النكبة في القرية الفلسطينية عين حوض، وهي قرية ذات معالم أثرية من الريف الفلسطيني[27]، تعرضت مع قيام أحداث النكبة للتدمير والتهجير القسري للأهالي القرية الذين أصبحوا لآجئين في مخيمات جنين.

يجمع العمل الروائي "صباحات في جنين" في ما بين السيرة الذاتية للكاتبة سوزان أبو الهوى بكونه مستلهما في الكثير من أحداثه من الحياة الشخصية الواقعية للكاتبة، وأحداث أخرى مقتبسة عن رواية غسان كنفاني عائد إلى حيفا، والتي صرحت سوزان أنها وبعد قراءتها قد تأثرت بها[28]، ويجمع العمل في أجزاء أخرى أحداثا تاريخية وسياسية، وأخرى خيالية، وأحوال علاقات اجتماعية وإنسانية، قدمت للقارئ نظرة مقرَّبة عن البيئة والتاريخ الفلسطيني، وصوَّرت عن قرب مأساة شعب كامل. يحمل العمل ثراءا فكريا أضاف نتاجا أدبيا خاصا إلى مكتبة الأدب الفلسطيني الحديث، كما حققت أعمال سوزان أبو الهوى في الآونة الأخيرة انتشارا واسعا بين القراء في الغرب نقلت إليهم هموم أبناء الشعب الفلسطيني وقصص كفاحهم، وهو ما تسعى إليه الكاتبة بنقل الأحداث بحقيقتها الكاملة إلى الغرب بلغتهم، بعيدا عن القصص التي مثلت انتصارا للآخر وتحريفا للحقائق التاريخية كما صرحت سوزان في لقاء خاص بها: "القصة الفلسطينية وحتى وقت متأخر تمت روايتها على ألسن

---

[27] هي قرية فلسطينية أثرية، تقع على إحدى التلال المرتفعة في سفوح الجبال غرب مدينة حيفا، تطل على البحر المتوسط، وتبعد عنه خمسة كيلو مترات، وترتفع عن سطح البحر بمئة متر، تم استبدال اسم القرية وأصبحت تُعرف باسم "كفار أومنيم" أي "بلدة الفنانين"، وقد سميت بهذا الاسم بعد أن سكن فيها عدد كبير من الفنانين اليهود بعد العام 1948. انظر: شريف كناعنة، بسَّام الكعبي، القُرى الفِلسطينية المدمَّرة- عين حوض-، (عمَّان: جامعة بيرزيت، مركز الوثائق والأبحاث، د.ط، ج1).

[28] انظر: سوزان أبو الهوى، بينما ينام العالم، المصدر نفسه، ص474.

أخرى، وتمت كتابتها على أيدٍ غير أيادي فلسطينية، حكتها أقلام اسرائيلية وأقلام أخرى للغرب، وقد استغرق الأمر ولادة جيل كامل في الغرب لتخرج الرواية الفلسطينية الكاملة بأصواتنا بلغات أجنبية".[29]

الآخر في رواية بينما ينام العالم

تتعدد صور الآخر من خلال العمل الروائي بينما ينام العالم لسوزان أبو الهوى وتتباين فيه، فتحمل الشخصيات المتعددة للآخر أبعادا مختلفة، ومن خلال هذا التعدد يظهر التنوع في الخلفيات والأفكار والرغبات لديها، يتمثل تارة في الجانب الإنساني الذي تقدم من خلاله سوزان أبو الهوى آخرا يهوديا مسالما يتعايش مع الذات الفلسطينية ويمارس حياته الطبيعية معها خارج أُطر الصراع اليومي، وفي مواضع أخرى هو عدو شرس، يحمل تجاه الذات الفلسطينية حقدا دفينا وأطماعا تجاه أرضه وممتلكاته، لا يدخر في سبيل انتزاعها وحرمانه منها أي وسيلة.

ينفتح العمل على عدة جوانب لم تغفل معه الكاتبة عن حقيقة هذا الصراع الاستعماري وحقيقة حضور الآخر فيه، ومحاولاته لمحو وجود الذات الفلسطينية وهويتها، وعلى الرغم من ما يحمله العمل من تضامن وتعاطف تجاه الذات الفلسطينية إلا أن الكاتبة لم تغفل عن إبقاء نظرة حيادية تجاه الآخر، تنكشف مع محاولة سوزان أبو الهوى للبحث في

[29] لقاء على اليوتيوب للكاتبة سوزان أبو الهوى، تاريخ الاطلاع الأخير: 20-4-2022م، https://www.youtube.com/watch?v=SD3yR_C9nYQ

الجانب الإنساني لديه[30] ووعيها بهذه الأبعاد التي أضاءت جوانبها شخصيات تمثلت في صورة الآخر الغير العدائية تجاه الذات الفلسطينية، وهو ما أشارت إليه: "القصة تخلق مساحات واسعة؛ حيث يمكن للأفراد أن يلتقوا ويعيدوا استكشاف الجانب الإنساني لدى بعضهم البعض، وهي إحدى مميزات هذه الرواية"[31]، وقد سعت سوزان لتقديمها بصدق فني حافظت عليه أثناء تقديمها لشخصياتها وأدوارهم وهو ما أكدت عليه أيضا في أحد حواراتها: لم أفكر أثناء كتابتي في ردة فعل القراء، كان إخلاصي الحقيقي موجها للشخصيات، وحياتهم وقصصهم.[32]

تنطلق أحداث الرواية من العام 1941م، من عُمق الريف الفلسطينيّ من قرية عين حوض الزاخرة بإرثٍ من العادات والتقاليد الفلسطينية؛ حيث يفتتح أسبوع القطافِ موسم الحَصاد نهايةَ كل عام، ويجتمع فيها أفراد العائلة الواحدة لجني المحاصيل الزراعية وهم يعمُرون ساعات الصباح الباكر وفي نشاط متجدد أرضا عرفت اعتناءهم المحِبّ، وحَملت تاريخ انتماءهم الأصيل إليها، ومن قرية عين حوض ترتكز أحداث العمل الروائي في عائلة "أبو الهيجا"، متتبَّعة قصة أربعة أجيال متلاحقة: بدءًا من الجد –يحيى أبو الهيجا– وزوجته باسمة،

---

[30] Abu-Shomar, Ayman M. "Diasporic Reconciliations of Politics, Love and Trauma: Susan Abulhawa's Quest for Identity in" Mornings in Jenin"." *Advances in Language and Literary Studies* 6.2 (2015): 127-136.page7.

[31] مقطع للكاتبة سوزان أبو الهوى على اليوتيوب، تاريخ الاطلاع الأخير 17-5-2022م، https://www.youtube.com/watch?v=SD3yR_C9nYQ

[32] Qabaha, Ahmad. "“Owning one's story is as important as the ownership of physical space”: An Interview with Susan Abulhawa." *Bethlehem University Journal* 36 (2019): 133-139.

وابنيهما حسن ودرويش، والأحفاد –أبناء حسن–: يوسف، وإسماعيل الذي يتم اختطافه من قبل عائلة يهودية، والابنة الصغرى لحسن "آمال" كشخصية أساسية في أحداث العمل.

- **الآخر اليهودي فرداً غيرَ مُعادٍ: آري بيرلشتاين الصديق المُسالم**

الأحداث في الريف الفلسطيني تبدأ مع حياة الأبناء حسن ودرويش؛ حيث يكسب حسن خلال مرحلة الدراسة المبكرة، في عمر الثانية عشر صداقة "آري بيرلشتاين" وهو ابن لبروفيسور يهودي ألماني، يستأجر منزلا ويستقر في القدس هربا من اضطهاد النازية، وتَمتد يد الصداقة بين حسن وآري قرب باب العمود وتقارب بينهما براءة العمر الصغير وحب القراءة والاستطلاع وظروف صحية متماثلة، فيتجاوزان حدود الاختلافات، وتتساقط بينهما الفوارق الدينية والعرقية والسياسية، ويمضيان الساعات معا، حسن يقرأ الشعر العربي لآري، ويعلم أحدهما الآخر مفردات وعبارات في اللغات العربية العربية والانجليزية والألمانية، ويعودان أثناء الدراسة لمكتبة السيد بيرلشتاين –والد آري–، وتعكس الصداقة بين آري وحسن وعائلتيهما البُعد الإنساني الذي يميّز هذه الشخصيات، كما يرسم التداخل بين العائلتين في هذا الجانب ومن خلال المرحلة الزمنية جزءا مغايرا عن تلك الصورة التي عُرفت غالبا عن الآخر الصهيوني، الصورة المليئة بالغضب والحقد والرغبة في تجريد الذات الفلسطينية من أملاكها وحقوقها.

إضافة إلى ما تحمله العلاقة القائمة على التداخل بين العائلتين الفلسطينية واليهودية من انعكاس لمرحلة تاريخية سابقة، تداخلت وتعايشت فيها مختلف الطوائف والأفراد على الأرض ذاتها، قبل أن تتخذ طبيعة الوجود اليهودي في فلسطين وتتحول من الطابع الديني والمعايشة إلى الطابع الاستعماري الاستيطاني بوحي من الأفكار الصهيونية، وهي مرحلة سابقة

لمرحلة التطرف والعدوان الصهيوني، والأمر الذي أحدث تغييرا تلقائيا في المواقف التي أججت نار الصراع بين العرب واليهود.[33]

في سن الثالثة عشر ومع نهاية التعليم الإلزامي يضطر حسن إلى التخلي عن حلمه في مواصلة التعليم مع آري بالدراسة في القدس، حين يرفض يحيى، مُؤثرا أن يبقى ابنه لرعاية الأرض ليرثها من بعده، وخوفا من أن يحمله التعليم بعيدا عنه، وهو قرار يأسف لاحقا عليه يحيى، ويطلب الصفح من ابنه حسن قبل وفاته، وبفعل القرار نفسه يقطع حسن عهدا على أن يُقدِّم التعليم الجيد لأبناءه مستقبلا.

تعطف السيدة بيرلشتاين —والدة آري– على حسن حين ترى رغبة صادقة منه في الإقبال على التعلم فتقدم إليه دروسا خاصة، وتشرف على تعليمه بكتب ودروس وواجبات منزلية. ترافق حسن صداقة آري أياما وأسابيع وتمتد لما بعد وفاة حسن، حين يلتقي آري بابنة حسن — آمال– وهو أستاذ في الجامعة العبرية، ويحكي لها ما جمعه بأبيها من ذكريات وقصص. يتخرج حسن وآري في العام ذاته، ويُبعِد مفترق الطريق كلاهما عن الآخر.

يرتبط حسن بفتاة أحبها من بادية الريف، في حين يغادر آري ليلتحق بدراسة الطب، ويُنجب حسن طفله الأول يوسف، وبعدها بخمسة أعوام، إثر قنبلة تُطلقها العصابات الصهيونية على مقربة من منزله يفقد والدته –باسمة–، حين يَشلُّ الرعب قواها وتنهار في حديقة المنزل مفارقة الحياة، وفي أثناء العزاء، يعود آري في إجازة ليُشارك صديقه حسن حزنه على وفاة والدته، وخلال أيام العزاء يُحذِّر آري حسن في حوار خاص يجمع الصديقين وسط بساتين الزيتون من أحداث مُرعبة هي على وشك الوقوع، يبوح آري لحسن

[33] انظر: إبراهيم عبدالكريم، تهويد الأرض وأسماء المعالم الفلسطينية دراسة ودليل، (دمشق: منشورات اتحاد الكتّاب العرب، 2001م)، ص35.

بمخاوفه تجاه فلسطين،"الوضع سيّئ جدًّا يا حسن! لدى الصهاينة كميَّات كبيرة من الأسلحة لقد جنَّدوا جيشا هائلا من اليهود الذين يَصِلون على متن السفن كل يوم. أنت لا تعرف كل شئ يا حسن. لديهم عربات مدرّعة، بل طائرات!"[34]

إلا أن آري ومع تحذيره لحسن يحمل شعورا متناقضا، فيتعاطف في الوقت ذاته مع الضحايا من اليهود محاولا تبرير موقفهم، ويتردد حول نويا المستَعمِر القادم هربا من الموت: "أنا يهودي. أقصد، أعتقد أنه خطأ. ولكن أنت لا تعرف كيف كانت الأمور من قبل، لقد قَتَلنا ما حدث، على الرغم من أننا لُذنا بالفِرار"[35]، "إنهم مصممون على أن تصبح هذه الأرض دولة يهودية، ولكنني أعتقد أن العرب إذا قبلوا ذلك ببساطة، فستكون كل الأمور جيدة ويُمكننا العيش معا".[36] مع التفهُّم الذي يقدمه حسن لصديقه آري، إلا أنه يُظهر موقفا حازما يؤكد صدق انتماءه ووقوفه إلى جانب شعبه وحقهم في أرضهم التي يتم التخطيط لنهبها، موضحا لآري في غير حياد كيف أن العذاب الذي لاحق اليهود لم يكن ذنب أبناء شعبه، ولا مبررا للعدوان القادم إليهم: "لكنك قُلت من هُنيهةٍ أنهم يريدون دولة يهودية!"[37].

– "نعم، ولكنني أعتقد أنهم سوف يسمحون للعرب بالبقاء.

– ارتفع صوت حسن: إذا، هؤلاء المهاجرون سيسمحون لي بالبقاء على أرضي أنا؟!

---

[34] سوزان أبو الهوى، بينما ينام العالم،المصدر نفسه، ص45.

[35] المصدر السابق، 47.

[36] المصدر السابق، ص47.

[37] المصدر السابق، ص47.

–حســن، ليس هذا ما قصــدته.أنت مثل أخ لي.أنا مُســتعد لفعل كل شــئ من أجلك، أو من أجل عائلتك، لكن ما حدث في أوروبا..

تلاشت كلمات آري في صُور معسكرات الموت المروِّعة التي كان قد شاهدها، عصَر حسن حبة زيتون أخرى، كما لو كان يحاول عصـر كلمات آري المتعلقة في الهواء والأشـبه بالخيانة، وقال: بالضبط آري. ما فعلته أوروبا، لا العرب! لقد عاش اليهود هنا دائما. هذا هو سبب التزايد الكبير جدا في أعداد الموجودين منهم هنا الآن، أليس كذلك؟ وبينما اعتقدنا أنهم يسعون فقط إلى الحصول على ملاذ... أشخاص مساكين يريدون فقط أن يعيشوا، كانوا يكدِّسون الاسلحة لطردنا من بيوتنا!"[38]

يختصر حسن وجهة نظره في كلمات لما سيتحول خلال أيام لواقع مرعب وما سيراه الفلسـطينيون من اليهود القادمين من البعيد لانتزاع أرضـهم منهم، بخلق ذريعة تقوم بشـكل أساسـي على لعب دور الضـحية بشـكل دائم، سـعيا لتشـريع جرائمهم ضـد الفلسـطينيين وانتقالا إلى جيرانهم العرب، باتخاذ التطرف منهجا في خلق محيط خاص بدعوى حمايتهم[39]، مع ذلك يبقى حسن محافظا على صداقته بآري، ويمدُّ إليه يد العون على الرغم من الأحداث السـياسـية المتقلبة من حولهما، "إذا كانت الغَلبة للعرب في البلدة القديمة، فاذهبوا إلى منزل عمتي سـلمى. أنت تعرف مكانه. لديها منزل كبير ويمكنكم الاختباء هناك"[40]، ومع ازدياد حدة الصـراع القائم بين الفلسـطينيين واليهود وقدوم أحداث النكبة، تضـطر عائلة آري

[38] سوزان أبو الهوى، بينما ينام العالم، المصدر نفسه، ص47-48.

[39] انظر: نورمن فنكلستين، إسرائيل، فلسطين، لبنان: رحلة أمريكي يهودي بحثا عن الحقيقة والعدالة، ترجمة: سماح إدريس، (بيروت، دار الآداب، ط1، 2008م)، ص15.

[40] سوزان أبو الهوى، بينما ينام العالم، المصدر نفسه، ص48.

للمغادرة إلى الجانب الآخر من الخط الفاصل في القدس، ويُجازف حسن بحياته، مُقدما مبادئه الأخلاقية والإنسانية في مساعدة آري وعائلته على الهرب في ظُلمة الليل، فيأخذهم في عربةٍ يقوم بتغطيها بعلم مرسوم باليد، مصنوع من ملاءة سرير تغطيها نجمة داود، يلوح بها للجانب الاسرائيلي أثناء عبورهم للخط الفاصل وقاية من التعرض لاطلاق النار، وهو اللقاء الأخير الذي يجمع بين الصديقين.

في الأشهر التي تليها يرزق حسن وداليا بابنهما الثاني إسماعيل؛ والذي يُشكِّل شخصية محورية مُهمة في صلب الأحداث الروائية، فمع وصوله إلى الشهر السادس من عمره في أحد الأيام يسقط من بين يدي أخيه يوسف الذي يحاول تهدئته، ويرتطم وجهه بأحد المسامير البارزة من السرير، ويتمزق جلده على شكل خط يمتد من وسط خدِّه إلى محيط عينه اليمنى لتُشكِّل معالم ندبة مميزة، تخلق لإسماعيل هويةً خاصة يُعرف بها، وبفضلها يَعود مستقبلا بعد اكتشافه للحقيقة إلى ذاته الأولى.

- **الآخر الصهيوني: موشيه –العدائي المُختطِف–**

بانتقال المشهد من خلال السرد إلى العام 1948م، تتصاعد الأحداث في العمل الروائي كما تصاعدت في التاريخ الفلسطيني، وتتجلى الأفعال العدائية للآخر الصهيوني بصورة أوضح حين تبدأ العصابات الصهيونية من الأرغون والهاجاناة وشتيرن[41] بإثارة الذعر في مختلف أنحاء القرى الفلسطينية، وتقوم بتصفية القوات البريطانية والعربية معا، تلك التي

[41] الأرجون: منظمة عسكرية قومية يهودية أنشأها اليهودي "جابوت سكيب"، وهي منظمة انشقت عن الهاجاناة، والهاجاناة هو اسم للقوات المسلحة العسكرية اليهودية التي شكلها ودعمها الإنجليز، غير أن هذه المنظمة كانت أكثر تطرفا وتعصبا. انظر: طارق سويدان، فلسطين التاريخ المصور، (الكويت، شركة الإبداع الفكري، د.ط، د.س)، ص243.

تقِف عائقا أمام مخططاتها بتفجيرات ومجازر وإعدامات تمتدُّ على خارطة وجودها الدموي، وخلال عامَيّ 1947 و1948 يتم مهاجمة قرية عين حوض أَربع مرات على أقل ما تم تقديره وتحت أنظار الانتداب البريطاني ترتفع أعمِدة الدُّخان من قرية الطيرة والقُرى المجاورة لها في ظل الهجمات الصهيونية المتواصلة التي تترك أهالي القُرى في حالة من الذعر الشديد.

تبدأ رحلة المأساة الفلسطينية والتي ترتكز من خلال تصوير الكاتبة في أعقاب العدوان الصهيوني الذي لاحق الأفراد في قرية عين حوض والقُرى المجاورة لها؛ حيث تجتمع عائلة يحيى في منزله، ومع فقد العائلة للسلاح والذخيرة اللازمة وتنامي الاحتياج إليه يُندد يحيى في يأسٍ وغضب، وقد وجَّه لعناته بصوت عالٍ للاحتلال الذي يواصل إلقاء القنابل في الأنحاء المجاورة.

تتسارع الأحداث مع وقوع مجزرة أخرى خلال أسبوعين في قرية بلد الشيخ المجاورة، وتزداد حالة الفزع بين القرويين بفعل مُلاحقات القتل والحصار الذي يتم فرضه، فتسرع النساء بتجفيف المحاصيل قبل الأوان وتخليل الخضروات ترقُّباً لحصار طويل، بينما تُجبر الفِرق الصهيونية البريطانيين على المغادرة لفتح الأبواب على مصراعيها لتَندَفِع أعداد اليهود إلى فلسطين كالسيل في اجتياحهم للقرى والمدن، مُهوِّدين أسماء المدن والقُرى المنهُوبة إلى أسماء عبرية، واسم فلسطين إلى إسرائيل.

يتشبث أهالي عين حوض بقريتهم ويظهرون صلابة وصمودا في مُقاومة العدو، مُتَّحدِين لصدِّ الهجمات عنها، وكحل أخير منهم لمحاولة البقاء في قريتهم يدعوا يحيى نيابةً عن مجلس شيوخ القرية إلى الهُدنة بين الطرفين، فيُقبِل الجُنود على القرية لتناول الطعام وقد أوهموا الأهالي بالموافقة، وهنا يَبرُز الظهور الأول لشخصية الجندي الصهيوني "موشيه"؛ الذي يلمح

ابن حسن -إسماعيل- ويضعه نصب أفكاره وأطماعه، فيما تَصدق ظنون أهالي القرية بعدم الاطمئنان، حين تُصبح القرية في اليوم التالي على قصفٍ مدفعي متَّسع النطاق، وأمطار من القنابل، يخرج الأهالي بفعلها مذعورين، وتركض داليا في رعب حين يُقتل والدها وأفراد عائلتها، ويهرع حسن خارجا مع بدء القصف بحثا عن أفراد عائلته، وقد دُمِّرت الأرض في القرية وانتُزعت منها الحياة.

تعدوا عصابات الجنود وقد أشهروا أسلحتهم في وجه أهالي القرية لإجبارهم على إخلاء منازلهم، وقد خلَّفوا ثلاثين جثة جديدة، فُرضت معها أوامر صارمة على شباب القرية، برَدم التراب على المقبرة الجماعية لإخفاء آثار جريمة أُخرى، وفي ذهول صامت وخوف صادم من المجزرة الواقعة أمامهم يخضع الجميع في انصياع تام، ويفاجَئ أهالي القرية بعدها بأمر إخلاءٍ آخر ينطلق من مكبرات الصوت ويَفرض عليهم التجمع أسفل التل و"كأنه إله خفيّ يوزّع المصائر"[42]، ومع تكرار وصف الإله تؤكد الكاتبة عُمق الصورة المتأصلة عن نفس العدو المتغطرسة، ومدى سَطوته على التحكم وتقرير مصير الأهالي، وهو وصف يؤكد أيضا ما عُرفت به الشخصية الصهيونية العدائية وما تميَّزت به من عنصريةٍ معمَّقة تجاه الذات الفلسطينية والعرب بشكل عام، وما تميزت به من شعورٍ بالفوقية ونظرة الاستعلاء على باقي الديانات والشعوب والرغبة الدائمة في الانتقام منهم والتنكيل بهم.[43]

مع النزوح الجماعي الأول للأهالي إلى أسفل التلّ يُقبل درويش مصطحبا فرسه الأصيل "فطُّومة" وقد فَقد خلال هجمة التفجيرات حصانه الأصيل الآخر وأعزَّ أصدقاءه

---

[42] سوزان أبوالهوى، بينما ينام العالم، المصدر نفسه، ص57.

[43] انظر: رشاد عبدالله الشامي، الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون الآداب، سلسلة عالم المعرفة، العدد 102)، ص131.

"غنُّوش"، ويواصل الجنود دَفع من تبقى من الأهالي، بعنف واعتداء جسدي يتمثّل من خلال المشهد في الضرب بالهراوات، وعنفٍ صوتيّ ولَفظي، كما يُلحظ في سياق المشهد تكرار لفظ الإله، إله يصـــرخ من مكبرات الصـــوت "تحرَّك، تحرَّك!"[44]، يُأمر أهالي القرية بالوقوف وترك أَمتعتهم الثمينة مُهدَّدِين بالقَتل، "اترُك الحِصان!"[45] أمر صارم وصادم ينفذ إلى سماعِ درويش، بالتخلي عن حصـانه الأصـيل "فطومة". تُرعب درويش فكرة أن يفقد فرسـه الآخر، وهي في تلك اللحظة والموقف أعز عليه من كرامته، فلا يعبأ أن يتوســل من أجلها، ويُلحُّ في التوســل للجندي: "أرجوك!"،[46] لكن التَوسُّلَ في قاموس الصـهيونية لم يكن ليُترجم إلا باحتقارٍ متزايد تجاه الذات الفلسطينية وكانتصار له حين تَسقط الفرس فطُّومة ميتَّة برصاصة تخترق جبهتها، وأخرى تخترق صدر درويش لتصل إلى عموده الفقري ويصبح مقعدا لما تبقى من عمره. يبكي يحيى ابنه: "الفارس الذي طالما أثار الإعجاب!"[47]، وتصـــرخ زوجته فيما يُســـرع الناس لإبعاد حسده النازف.

هنا تُعمّق الكاتبة من خلال سردها التركيز على التفاصيل الدقيقة للمأساة الحقيقية التي لاحقت الفلســـطينيين مع الإخراج القســـري وطردهم من منازلهم وقُراهم، وهو حقيقة ما جرى أثناء الغزو من إرهاب صهيوني تجاه الذات الفلسطينية كما كان يتم تجريدُ النساء وسرقة حُليّهن ومقتنياتهن الثمينة، ويؤمَرن بالســير باتجاه المخرج المحدد لهن دون الالتفات إلى الخلف، وكانت النيران تُطلق فوق رؤوســـهن لحثّهن على الإســـراع في الهرب، كما سُـــجّلت ولم تخفى

---

[44] سوزان أبو الهوى، بينما ينام العالم، المصدر نفسه، ص58.

[45] المصدر السابق، ص59.

[46] المصدر السابق، ص58-59.

[47] المصدر السابق، ص60.

أحداث لحالات اغتصاب واستعباد وقتل[48]، فلم يقتصر الأمر على ما نتج بفعل الغزو من قتل واعتداء بل تعدَّى إلى السرقة والخداع وإذلال الأهالي لتَرك أمتعتهم[49]، ويُعمّق التصوير من خلال المشهد كيف تجاوز الآخر الصهيوني حدَّ هدر كرامة الذات الفلسطينية، وإذلالها ليُلحِق بها العجز الدائم بلا أدنى رحمة.

في مشهد محوري آخر وأثناء تدافع الأهالي والحشود المذعورة هربا من قُراهم تنفصل داليا عن زوجها حسن، وتذهل في لحظة فاصلة من حياتها، لتنتزعها الحقيقة من واقع اختطاف ابنها إسماعيل من بين ذراعيها فتصرخ داليا "من أعمق لوعة يُمكِن أن تشعُر بها أم"[50]، في حين يركض حسن مفتشا بيأس بين الحشود عن ابنه إسماعيل، مُحاولا في الوقت نفسه اجترار عزيمته للوصول إلى بر الأمان بمن تبقى من أفراد عائلة كان الشتات لها مع الجَمعِ حتما، و"لكن من دون إسماعيل".[51]

وتتدرج المأساة تِباعاً من حلال الأحداث التالية حين لم يَعُد بالإمكان تعزية أحدٍ من أهالي القرية، وقد فاض ألم التشريد والعذاب على المشهد، ويفترش حسن الأرض بين الجموع وقد استسلم لشُعور الخيبة والإرهاق، بينما بقيت داليا ذاهلة في جنون لا تَكُفَّ البحث عن رضيعها: "تدُور في أسَى هائج، تستجوِبُ الناس، وتَرفعُ الأغطية عن الأطفال الرضَّع للنساء الأُخريات، آملة العُثور على صَبي له نُدبةٌ أسفل خدِّه الأيمن قُرب عَينيه"[52]،

---

[48] انظر: سلمان حسين أبوستّه، أطلس فلسطين 1917-1966، (لندن: هيئة أرض فلسطين، ط1، 2011م)، ص121.

[49] انظر: وداد عبدالفتاح خليفة، التراجيديا الإنسانية في روايتي قصة عن الحب والظلام لعاموس عوز وبينما ينام العالم لسوزان أبو الهوى دراسة مقارنة، (القاهرة: مجلة قطاع الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، العدد1، 2019م)، ص852.

[50] سوزان أبو الهوى، بينما ينام العالم، المصدر نفسه، ص61.

[51] المصدر السابق، ص61

[52] المصدر السابق، ص61.

مُقاومة في نفسها حقيقة اختِطافه، وكل فرضية تُخبرها باستحالةِ أن يَعود، وتُجبر داليا على المضي قدما، فرارا من القتل الذي ظل يلاحقهم على طول الطريق، ومعها يضطر الأهالي إلى النزوح أمامهم طوال ثلاثة أيام عبر التلال وقد أغلقت عليهم منافذ العودة بالألغام والرصاص؛ حيث لم يكن من مَفرٍ أمامهم سوى الهروب من موت، والتوجُّهُ لآخر. يسقط العديد من الأفراد مُفارقين الحياة لشدة ما يلاقونه ومن شدة الضعف والجوع، وعلى الرغم من المساعدات التي يقدمها أهالي البلدات الأخرى، كانت مدينة جنين أقصى ما استطاع الأهالي الوصول إليه مع النازحين من القُرى الأخرى، فيما اكتفت الدول المجاورة لفلسطين بتقديم الخِيام وحسب "برز معها مخيم جنين للآجئين إلى الوجود"[53]، "حيث أمكن القرويين من عين حوض الوقوف على التلال والنظر إلى الوراء، إلى البيوت التي لن يعودوا إليها أبدا".[54]

وفي فصل آخر من فصول الرواية يكبر إسماعيل في عائلة مُختطِفه "موشيه"، الذي يأخذه ساخطا على ظُلم القدر الذي حرمه وزوجته "يولاتنا" من انجاب الأطفال، وعلى الآلام التي هربا من ظِلها من معسكرات الموت النازية في ألمانيا، حاقدا على البريطانيين والعرب، فيسعى لتحريض الجنوده للاعتداء على الأهالي، ومصادرة أراضيهم، وفي أثناء محاولات الهُدنة التي تجري في قرية عين حوض، تقع عينا موشيه على داليا وهي تحمل أطفالها يوسف وإسماعيل يُساءل نفسه وقد أضمر حقدا على العرب أمامه، كيف يمكن أن يكون لهم كل هذا العدد من الأطفال الأصحاء، بينما يُحرمان هو ويولانتا؟، رآه "ظُلما مجحفا أمدَّه بالعزم"[55]، ومُبررا لنفسه بفعل ما تعرض له وزوجته من العذاب يقرر موشيه أخذ ما اعتبره من

---

[53] المصدر السابق، ص62.

[54] المصدر السابق، ص63.

[55] المصدر السابق، ص67.

حقَّه، حين يلمح داليا وسط تدافع الأهالي وازدياد القصف على القرى وقد تشبث بأحضانها طفلها الرضيع، فيقترب على عجل ليمدُّ يديه في لحظة خاطفة، ويسحب إسماعيل ويضعه في كيسٍ عسكري، ويُسرع في السير بغير إلتفات، يختنق اسماعيل ويحسُّ موشيه بركلاته الصغيرة، فيسرع إلى سيارته العسكرية ويخدره باستخدام الكحول، ويقدِّمه هديةً لزوجته يولانتا التي تفرح به كثيرا، وتسمِّيه "دافيد" إحياءا لذكرى أبيها.

يُعمِّق المشهد تصوير الرغبة الانتقامية لدى الآخر الصهيوني من خلال شخصية موشيه وسعيه للانتقام من الذات الفلسطينية وإلحاق الضرر بها دون حد أو اكتفاء، فلا يتوقف عند توجيه الأوامر بالعدوان، بل يتعدى إلى محاولة سحق الذات الفلسطينية والمتمثلة في شخصية داليا، بانتزاع رضيعها واختطافه، وإيذاءه بالكحول.

ولعل ما ترمز الكاتبة إليه من خلال حادثة الاختطاف هي قضية الذبيح التي نَسبها اليهود إلى موروثهم الديني، فسَرقة إسماعيل وتغيير هويَّته وتاريخه إلى دافيد إبرام، وإنجابه بعد زواجه لابنين: يعقوب ويوري هي أسماء ذات دلالات خاصة في الموروث الفكري اليهودي كما أشارت وداد عبدالفتاح.[56]

وفي دراسة أخرى أشار إليها أيمن أبو شومر، بأن الكاتبة وظفت حادثة اختطاف اسماعيل كرمز مجازي يعود لاستيلاء اليهود على أرض فلسطين من أبناءها، كما يوافق فَقدُ إسماعيل معنى فَقد الوَطن ومحاولة انتزاعه من أبناء شعبه، وهي انعكاس للمأساة الواقعة على

[56] انظر: وداد عبدالفتاح خليفة، التراجيديا الانسانية في روايتي قصة عن الحب والظلام لعاموس عوز وبينما ينام العالم، المصدر نفسه، ص854.

حياة داليا وعلى الفلسطينيين؛ حيث يُمضي الأهالي بقية حياتهم على حدود الوطن بحثا عن ما فقدوه[57]، وهو ما يوافق كذلك تهويد الأرض وأسماءها ومعالمها بعد نهبها[58].

بعودة الأحداث إلى مخيم جنين يُقاوم الرجال اليأس الذي أحاط بحياتهم في كلَّ صَباح، وقد جددوا الآمال بالعودة إلى قُراهم، وقد وجدوا العزاء في الصلوات، وحب عائلاتهم، وجلسات الرفقاء وقد أصبح التجمع كل صباح للاستماع إلى حسن وهو يقرأ الأخبار للأهالي تقليدا يوميا، في حين يرفض يحيى الرضوخ للواقع الجديد ويضل مُصرا على أمل العَودة إلى أرضه ومنزله، وقد اطمئن في كل يوم إلى أن بقاءه في خَيمةٍ من الشَّعر ومسكنٍ من الصَّفيح، وسقفٍ يُسرِّبُ الماء وأرضيةٍ موحلة، يعني أن المنفى مؤقت لا أكثر، ولا يمكن له أن يستسلم ليصبح لاجئا في وطنه.

مُفتقِدا للعلاقة المتِينة التي جمعتهُ في كل صباح، و"طوال حياته التي امتدَّت إلى أكثر من ستِّين سنة"[59] بأرضه والاستعداد السنوي لموسم القطاف، يقرر يحيى العَودة للاطمئنان على أرضه، ولم تُفلح نداءات صديقه الحاج سالم، أو ابنه حسن، وما حذَّره الرفقاء من عَواقِبه، عن ثَنيه عن قراره الذي عَزم عليه، فيخَرج يحيى عابرا التلال، مُجاوِزا الحدود المصطنعة التي أوجدتهاها العصابات الصهيونية على أرضه "إلى مَنظرٍ ريفيّ طبيعي عرفه أكثر مما عرف خُطوط كفَّيه حتى وصل أخيرا إلى وجهته"[60]. ويُظهر الموقف الذي اتخذه يحيى بتحدِّيه لسطوة

57 Abu-Shomar, Ayman. "Unreconciled Strivings of 'Exilic Consciousness': Critical Praxis of Resistance in Susan Abulhawa's Mornings in Jenin." Journal of Holy Land and Palestine Studies 18.1 (2019): 101-120. Page 17.

58 Raslan, Iman El Sayed. "Trauma and resistance in Susan Abulhawa's Mornings in Jenin." International Journal of Arabic-English Studies 17.1 (2017): 183-202.Page7.

59 سوزان أبوالهوى، بينما ينام العالم، المصدر نفسه، ص74.

60 المصدر السابق، ص76.

الآخر وقوة الحصـــار الذي فرضـــه عليه عُمق الارتباط والعلاقة الوثيقة التي جمعت الفلاح الفلسطيني الأصيل بأرضه، وقد أصبحت برعايته ومرور الأعوام جزءا من هويَّته، التي لا يمكن له أن يفقدها دون أن يفقد ذاته، وهو ما عُرف به طبقة الفلاحين والعاملين الكادحين من الفلسـطينيين ومن قبل العام 1948م، بمدى رعايتهم للأراضـي وإسـهامهم بتطوير الزراعة إلى حدٍ كبير، فكانت علاقتهم لصـــيقة بالأرض وعليها اعتمدوا للبقاء[61]، في حين كان اعتماد اليهود المهاجرين إلى فلسطين على الزراعة من باب السعي لمصلحة تكوين أمنٍ غذائي، وكان نتيجة لافتقار العديد منهم إلى الخبرة في المجال الزراعي وتفضـــيلهم العيش في رفاهية المدن أن هَجَر العديد منهم المواقع التي تم توطينهم بها[62]، وكما اتضـح لاحقا أنه ومع مصـادرة اليهود لكميات كبيرة من موارد المياه الفلســطينية والعربية، إلا أن اســتعمالهم لكميات كبيرة من الماء كان لري مسـاحات صـغيرة، ومع ذلك لم يتجاوز مُعدل إسـهامهم في القطاع الزراعي من أي أرض، سواء أكانت مروية أم لا، أو من أي منتوج زراعي، في الناتج المحلي الإجمالي في الحدود المنهوبة التي أطلقوا عليها إسـرائيل نسـبة 1.8%، ورغم المسـاحة الكبيرة المخصـصـة نسـبيا للزراعة، إلا أن باقي الأرض لم يتم اســتغلالها لهذا الغرض، بل تمت مصـــادرتها لأغراض آلة الحرب العسكرية، وكاحتياط استراتيجي، وكحواجز لإعاقة عودة اللاجئين إلى أرضهم وديارهم الأولى.[63]

---

[61] انظر: سلمان حسين أبوستّه، أطلس فلسطين 1917-1966، (لندن: هيئة أرض فلسطين، ط1، 2011م)، ص142.

[62] انظر: بيني موريس، مولد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، ترجمة: عماد عواد، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، د.ط، 2013م، العدد 407، ج2)، ص123.

[63] انظر: سلمان حسين أبوستّه، أطلس فلسطين 1917-1966، المصدر نفسه، ص147.

بمرور ستة عشر يوما يعود يحيى إلى المخيم، بثيابٍ مُتسِّخة وروحٍ مُشعَّة، مُستغفلا قوةً عسكرية لا تَرحم، "تضاريسُ تلك المنطقة في دمي! أعرف كل شجرة وكلَّ طير. الجنود لا يعرفون"[64]، وقد ألهَم بعمله البطولي دون أن يلحظ حفيده يوسف الذي لَم يبلغ العاشرة بعد، فيكبر يوسف بذهنٍ واعٍ يستحضر ذكرى صمود جدِّه يحيى وتحديه لجنود الاحتلال بالعَودة، وقد عاد في وقارٍ عنيد، كشحَّاذٍ مَرح، حاملا الكثير من الفاكهة والزيتون، وقد بَعث الأمل في أرواح اللاجئين المرهقة[65]، وخلال أسبوعين من عَودته يزداد إصرار يحيى على الرجوع مرة أخرى، وهو يعلم أن الاطمئنان على أرضه قد يُكلِّفه يوماً حياته، وكان بالفعل خروجه الأخير، "عاد لكي يموت حيث كان عليه أن يموت: على أرضه"[66]، حين يُقتل يحيى شامخا، رافضا ذُلَّ حياة اللجوء وحقيقة أن أرضه التي هي مُلكه قد سُلبت منه بطلقٍ ناري بحجة اعتداءه على أملاك المستوطنين الجدد، ومع استرداد جُثته من سلطات الاحتلال، يجد الأهالي كفُّه مُطبِقةً على ثلاث حبَّات من زيتون أرضه، وأَكوازٌ من التين في جيوبه، وقد تشبث بدليل انتصاره بين يديه، دليلا كان أعز عليه من الموت والخوف منه.

تبعث حادثة مقتل يحيى في أنفس الأهالي مشاعر الثأر والغضب، وتبعث في أنفسهم رغبة أقوى لاسترداد أملاكهم وأراضيهم، ويزداد تقارب الأهالي في المخيم مع عائلة يحيى، فيرجعون إلى حسن في ما يختص بشؤونهم، ويواصلون السعي في التفاوض مع مسؤولي الأمم المتحدة لنَيل حقوقهم الأساسية، منظمين حملات لإضفاء الطابع المؤسسي على التعليم،

---

[64] سوزان أبوالهوى، بينما ينام العالم، المصدر نفسه ، ص77.

[65] المصدر السابق، ص77.

[66] المصدر السابق، ص82.

وخلال سنة واحدة يبنون ثلاثة مدارس ومسجدا، رافضين تقبُّل نظرات الازدراء وأن يُعاملوا في أرضهم كلاجئين.

مع فقده لإسماعيل، واغتيال أبيه، يخفي حسن آلامه ويضاعف قائمة مهامه بالأعمال اليومية، مصرا على كسب ما يكفي ليحصل ابنه يوسف على تعليم جامعي، فينطلق كل صباح قبل أن تستيقظ عائلته إلى وظيفته كحارس لمدرسة جنين، ليعود إلى التلال برفقة كُتبه، وإلى المخيم بعد أن تنام عائلته، محرجا من أجره الزهيد، ومن العودة في كل يوم بغير إسماعيل، بعد أربعة سنوات يُرزق وداليا بآمال، ومع ما تسبب به فَقدُ إسماعيل من آلام لداليا أبقتها في دائرة منعزلة من الصمت والاغتراب عن الواقع، تكبر آمال مُتعلقةً بأبيها حسن الذي يُرافقها في أوقات الصباح الباكرة، ويحملها ليقرأ لها نصوصا من الشِّعر العربي الأصيل قبل مغادرته لأعمالٍ تمتد لساعات طويلة، فحملت هذه اللحظات الأثر الأكبر على حياة آمال*، وكانت اللحظات الأقرب إليها تلك التي جمعتها في أوقات الفجر الباكرة مع أبيها حتى آخر أيامها، وتسرد الكاتبة من خلال شخصية آمال: "كان صعبا أن أبقى مُستيقظة في ذلك الوقت المبكِّر، وكنت أحني رأسي نُعاسا وأغفو بين ذراعي بابا. ولكن، مع ذلك، صرتُ معتادةً النهوض قبل أن تشرق الشمس وهي عادة لازمتني طويلا. في كل فجر.. وحتى عندما نما جسدي وصنار أكبر من أن يتَّسع لي حضنُه، كانت الشمس دائما تجدنا مُتعانقَين ومعنا كتاب"،[67] وظل والدها حسن مَثلها الأعلى، فتكبر آمال متفوقة على أقرانها في مراحل التعليم المبكرة بفضل الدعم الذي يقدِّمه إليها والدها وسعيا للحصول على رضاه، وظلّت ذكريات آمال مع أبيها بعد فقده محطة هامَّة تعود إليها في لحظات الحزن وحياة الاغتراب.

* من تلك اللحظات الخاصة التي جمعت آمال بأبيها اقتُبِس عنوان النسخة الأصلية للعمل: "صباحات في جنين".

[67] سوزان أبو الهوى، بينما ينام العالم، المصدر نفسه، ص97،98.

مع تطور الأحداث باتجاه حرب عام 1967م –حرب الأيام الستة–، تتخذ المقاومة الفلسطينية دورا بارزا في التصدِّي لعدوان الاحتلال على الأهالي في المخيمات وتتسارع مجريات الأحداث، والتغيرات التي تطرأ على حياة الشخصيات، حين يستعد الرجال للردِّ بما تبقى لديهم من أسلحة مخبأة. ترقبهم من بعيد عينُ الصغيرة آمال وقد انقلبوا في وصفها من خلال المشهد من آباء وأشقاء وأزواج إلى مُقاتِلين، يُدفعهم نحو هذا الصمود تلك الرغبة الصادقة في الدفاع عن أرضهم وحماية عائلاتهم، وايقاف العدوان المتواصل، والرغبة في استرجاع حياتهم السابقة، والحلم الأوحد بالعودة إلى قُراهم.

يُخرِج حسن أكثر من 20 بندقية خَبأها على مدار أيام في حفرة بأرضية مطبخه ليومٍ مُرتقب، وقد "وزَّع الأسلحة على المقاتلين"[68]، "بينما شئ جبَّار في داخله كان يجعله يشُق طريقه عنوة إلى السطح"،[69] ليتخذ موقعا يغيب فيه عن أعين الأعداء، ويتَّخذ المقاتلون معه مواقع دفاعية أخرى، إلا أن قوة مضاعفة سرعان ما تباغتهم بقصفٍ عنيف، ألحقتها العصابات الصهيونية بعمليات خطف واغتيال وتفجيرات مدويَّة تسوِّي المخيم بالأرض، لتحوِّل الأطفال إلى أيتام، والنساء إلى أرامل واللاجئين إلى لاجئين مرَّة أخرى.

ومع سماعه لإعلان قِيام الحَرب عام 1967م يُسرع يوسف –وهو مدرِّس حينها في إحدى الجامعات– باتجاه المخيم مُتدافعا مع الحشود العائدة، لا يُبصر سوى نجدة عائلته، وحاجة أهالي المخيم إليه، وعلى الرغم من ما أعاده الإعلان من فَزع ثقيل إليه، إلى ذكريات الخامسة من عمره والعام 1948م، إلا أنه لا يتردد في العَودة والانضمام إلى صفوف المقاتلين، ليستلم البنادق من أبيه ويَحملها لأول مرة في حياته.

---

[68] المصدر السابق، ص106.

[69] المصدر السابق، ص106-107.

تُخبئ داليا ابنتها آمال وصـــديقتها هدى في حفرة الأســـلحة بالمطبخ وتأمرهما بعدم المغادرة. تتشبث الصديقتان ببعضهما خوفا من الموت القادم، وتسرد آمال عن ذكرياتها: "مرَّ الوقت بعد ذلك كجدول متدفِّق، لا يميزه نهار أو ليل. لم نتمكن من رؤية وجه الأعداء، لكننا سمعنا أصواتهم: طائرات كثيرة حلَّقت منخفضة وألقت قنابلها على الناس أينما كانوا. أدخلتنا ماما على عجل الحفرة في المطبخ، وقد أصبحت الآن خالية من السلاح"،[70] تعُود أمها بعد مدة لتضُم إلى الطفلتين في الحفرة رضيعة أخرى يتَّمتها الحرب، وتغلق الغطاء خوفا عليهنَّ مرة أخرى، إلا أن أصوات الصراخ، والدمار، ورائحة النباتات واللحوم البشرية المحترقة تخترق الغطاء وسمع هدى وآمال، ومن خلال سـرد آمال لأحداث الحرب ترى النهاية أشـبه ما يكون بيوم القيامة: "صـمَّ أذني انفجار مدوٍّ نسَـفَ بلاطة الغطاء، وسـطع الضـوء، وكنا مغطَّيات بالغبار والحطام. كنت أصـــرخ وأبكي، لكنني لم أســـتطع أن أسمع نفســـي"[71]، تفتح آمال عينيها المذعورتين على شـظية اخترقت جسـد الرضـيعة بين يديها وتركتها قتيلة، فتسـرع مذعورة مع هدى لحفر مكان يتسـع في لجَّة الرضـيعة، ومع محاولة آمال للوقوف وفتح غطاء البلاطة تجد من خلال الفتحة أن المطبخ كُله كان قد اختفى: "اسـتطعت أن أرى السـماء من حيث كان السقف. كانت أمامي أكوام من الركام، ما زال الدخان يتصاعد منها"،[72] وتجد على الطرف الآخر جثة جارهم أبا سميح وقد أردَاه أحد الجنود قتيلا: "رأيت أبا سميح ملقًى على الأرض ومســـدَّس في يده وابنه الميت على ذراعه الأخرى. اســـتَلقى هناك، عيناهُ فارِغتان، تحدِّقان

---

[70] سوزان أبوالهوى، بينما ينام العالم، المصدر نفسه، ص108.

[71] المصدر السابق، ص112.

[72] المصدر السابق، ص112.

باســـتنكار أبدي"[73] تعود آمال إلى الاختباء، وقد جمَّدها الخوف وأخذها الخوف وهدى إلى النوم لتستقيظ على أصوات الإسعاف في مستشفى مؤقت.

أثناء المواجهة في المخيمات، ومع الجرأة والشـجاعة التي يُظهرها يوسـف في مواجهة الأعداء إلا أن تعاطفه الإنســاني يمنعه من ســلب الآخر حياته، الأمر الذي يؤدي لوقوعه في أســر الاحتلال؛ حيث يتعرض للتعذيب والضــرب المبرح ويتم نقله إثر ذلك للعيادة الطبية في سـجن الرملة حيث يلتقي به الجندي "يرئيل"، الذي يخبر صـديقه دافيد عن شـاب فلسـطيني يماثله في الصــورة والملامح، فيدفعُ الفضــول دافيد نحو المعتقلات ويلتقي الشــقيقان كل على طرف مغاير للآخر، إلا أن الفارق في معرفة يوسف بحادثة اختفاء أخيه إسماعيل وقصة النّدبة التي يتعرف عليها من ملامحه، والشــبه الكبير الذي يجمعهما كأخوين، وهو ما يؤكد صــدق شـعور يوسـف الذي يُصـدم بواقع أخيه وقد أصـبح جنديا إسـرائيليا، في حين أن دافيد كان جاهلا لهويَّته الحقيقية والتي بناها مُوشيه ويولانتا على الأكاذيب.

وبفعل المبادئ التي ينشــأ عليها دافيد وســط أفراد العائلة الصــهيونية، وانضــمامه للجيش الصـهيوني في مرحلة التجنيد الإجباري، يُعرِّض يوسـف لمعاملة التحقير والازدراء حين يلتقيه مجددا عند إحدى نقاط التفتيش، ليؤكد على إنكار الصلة بينه وبين هذا العربي المشـابه له، إلا أن شــعورا غير مفهوم يداخل دافيد لقوة الشــبه بينهما، لاكتشــافه عن طريق أحد الأقرباء حقيقة كونه ابنا غير أصيل لموشيه، مما يدفعه للبحث عن إجابات كثيرة، حين يتضح له صدق الشبه القائم بينه وبين أخيه.

بمرور أيام الفاجعة التي دمَّرت حياة اللاجئين في جنين في المأساة الجماعية، وأحداث الفقد المتعددة والمتلاحقة، تتشــكل أحداث أخرى ذات أهمية تغيِّر من حياة آمال وعائلتها

[73] المصدر السابق، ص114.

عند اختفاء والدها حسن مع أحداث الحرب فلا يُعرف مصيره، ومع أسر أخيها يوسف، الذي يتم إطلاق سراحه بعد أيام مع عدد من الشبان، وقد غيرتهم رحلة العذاب في سجون الاحتلال فيبدوا يوسف في وصف آمال فاقدا للحس، هزيلا، واهنا، أكبر من عمره بعشر سنوات، يخفي عن والدته وآمال أسرار التعذيب التي مرَّ ورِفاقُه بها، وحقيقة لقاءه بإسماعيل. يقرر يوسف بعدها مُغادرة المخيم ليلتحق بأفراد منظمة التحرير الفلسطينية ويسهم في مسيرة التحرير والمقاومة. معرفة آمال بقرار أخيها في حين انتظارها لعودة أبيها في كل يوم، وغياب أمها التي المذهولة بالفقد عن الواقع، تفرّ آمال باتجاه التلال لتختفي خلف أشجار الخوخ بحثا عن عزلة تنفرد بها مُغالبة في يأس حقيقة فقد والدها الذي لم يعد، ورغبة يوسف بالرحيل التي تترك آمال مع شعور بخيانة أخيها لها.

تهرب آمال بعيدا عن المخيم إلى أعلى التلال وترقب مع لحظات الفجر من بعيد حقيقة العالم الذي تقف على أعتابه، ويدفع بها في اتجاه الغربة والرحيل. الروح الحية للتفاصيل التاريخية للمكان طغت على محاولات التهويد وتغيير معالم الأرض التي أعمرها أجدادها وكان لهم أحقية البقاء فيها، تؤكد آمال لنفسها: "هؤلاء الذين أخذوا الأرض المجيدة التي كانت تتلألأ بالخَضار، إلى جانب المياه الزُرق للبحر المتوسِّط منذ ما قبل زمن موسى، يدَّعون أنها كانت كالصحراء، وأنهم هم الذين جعلوها تزدهر وتخضرّ. سكبت شمس رائعة ضوءها على التلال مثل الطلاء الأصفر، وأضاءت البيوت العربية القديمة التي تقاوم مخاطر الهجر"[74]. لتعيدنا الكاتبة من خلال المشهد إلى الفكرة الأساسية التي ميزت الثقافة التي تبنَّتها الحركة الصهيونية، وكان من أهمها اختلاق السِّمات الدعائية في محاولاتها لإخضاع الحقائق بأي ثمن لخدمة موقفها السياسي، وتشويه المعطيات التاريخية في الادّعاء بأن أرض فلسطين المضاعة

[74] سوزان أبوالهوى، بينما ينام العالم، المصدر نفسه، ص179-180.

كانت تستلقي خالية في انتظار اليهود ليُصلحوها ويسكنوها، وهي البعيدة كليا عن حقيقة ما خلفته الحركة من دمار يشهد عليه التاريخ والبشر، وحقيقة تشريدها للشعب الذي سكنها في أوطانهم والمنافي، لتضبط الحركة وقع خطواتها بدقة –كما أشار غسان كنفاني– مع البرنامج السياسي الصهيوني، والذي يصبح مع كثرة إلحاحه أكثر عرضة للتناقض.[75]

على مشارف جنين وفي طريق عودتها تصاب آمال بطلق ناري من مسافة قريبة. الجرح البالغ يُمَزِّق جزءا من بطنها، ويبقي جسدها مشوها، ويولّد في ذات آمال شعورا يلازمها بعدم الثقة والنقص الدائم، معالم التشويه النفسي والجسدي الذي ألحقه الإجرام الصهيوني بأفعاله العدائية المتوحشة المتعمدة التي استمرت ولاتزال غير عابئة أو مميزة لضحاياها حتى مع كونهم أطفالا، رافقت الذات الفلسطينية ولازمت أفرادها حقيقةً كما تمثَّل من خلال شخصية آمال.

يُغادر يوسف المخيم ويترك لآمال رسالة تخبرها بضرورة مُغادرته للالتحاق بالمقاومة، كحلٍ أول وأخير للخلاص من ذلِّ العدوان، واستردادًا لحَقّه وحق عائلته وشعبه، ورغم الخوف الذي يستشعره يوسف إلا أنه يمضي بإصرار إلى المقاومة: "لا أحتمل التفكير في أن مستقبلنا انتهى، وأنه حُكم علينا بأن نعيش حياة أبدية من القهر والعبودية كلاجئين، المقاومة تتشكَّل، وسوف نسترجع عاجلا أو آجلا ما هو حقٌّ لنا. لقد ولِدتِ لاجئة، ولكن أعدكِ بأني سوف أموت إذا كان لابُد من ذلك، حتى لا تموتي وأنتِ لاجِئة"[76]. رحيل يوسف يترك آمال مع

---

[75] انظر: غسان كنفاني، في الأدب الصهيوني، (جمهورية مصر العربية: القليوبية، دار الوطن للطبع والنشر والتوزيع، ط1، 2016م)، ص94، 96،97.

[76] سوزان أبوالهوى، بينما ينام العالم، المصدر نفسه، ص184.

شعور الوحدة والهَجر مع فقدانها لأبيها وغياب أمها الدائم عن الوعي والتي تُغادر العالم حُزنا بعد عدة أيام من رحيل ابنها يوسف.

بمرور عام على أحداث النكسة، والتحاق يوسف بالمقاتلين في منظمة التحرير الفلسطينية التي يتَّخذ أفرادها موقعا يُجاور حدود بلدة الكرامة الأردنية والتي تضم مخيمات أخرى للاجئين، يتصدَّى يوسف ورفاقه لهجومٍ آخرى تشنه القوات الصهيونية لاستهداف القاعدة المقاتِلة للمُنظمة، فيظهرون لعدوهم شجاعةً لا تقهر، ويحقق يوسف ورفاقه انتصاراتهم بأسلحةٍ خفيفة أجبَرت أعدائهم على التراجع والفرار ليُتَوَّج يوسف بعدها كأحد أبطال معركة الكرامة.

أما آمال فبفقدها لجميع أفراد عائلتها تنتقل للعيش في مدرسة داخلية للأيتام في القدس، ويبقى حُلم والدها وذكرى تشجيعه لها دافعها الأول في استمرارها على مواصلة التعليم، فتحصل آمال بتفوقها على بعثة تؤهلها للدراسة في الولايات المتحدة الأمريكية. تتردد آمال إلا أنها تُغادر للحصول على فرصة في تعليم أفضل وتستقر حتى مراحل دراساتها العليا في الولايات المتحدة؛ حيث تواصل مراحل التعليم بإرادة صلبة، إلا أن مشاعر الاغتراب الداخلي المضطربة تلازم حياة آمال اليومية وتتركها في شتات بين عالمين، فتندفع تارة نحو رغبة الاندماج، وفي العديد من الأحيان تبقيها حالة الاغتراب الذاتي في الماضي الذي انفتح من القَيد إلى عالم لا حدود له، إلا أن العزلة الدراسية التي تختار آمال البقاء فيها تساعدها على تخطي الأعوام بنجاح.

الشتات الذي لاحق عائلة أبو الهيجا بفعل التشريد الصهيوني للذات الفلسطيني تواصل حتى منعطف آخر حيث يستقر يوسف في أعقاب حادثة أيلول الأسود وإخراج منظمة التحرير من الأردن يضطر يوسف للانتقال والعيش في لبنان، إلا أن المسير النضالي

ليوسف يكتب له النجاح، وترتقي رُتبته كقائد بين أفراد منظمة التحرير. ويرتبط بفاطمة التي عرفها وأحبها وهو يكبر في المخيمات، وكان مضطرا حينها لتركها واللحاق بأفراد المقاومة. وفي اتصال هاتفي يدعو يوسف آمال للقاءه في بيروت في مخيمات شاتيلا، وتسافر آمال للقاء أخيها وتلتقي بزوجته فاطمة وابنته فلسطين، وترتبط آمال في قصة حب تجمعها بصديق أخيها ماجد، إلا أن الاحتلال الصهيوني بفعل الرغبة العدائية والانتقامية يسعى للقضاء على المقاومة وأفراد مُنظمة التحرير على جميع الحدود، فتمتد أذرعها لتتجاوز خريطة المكان الفلسطيني، وتوغل العصابات الصهيونية في التوسُّع باجتياحها لأرض لبنان، وعقد صفقاتٍ مع الميليشيات المسيحية المتطرفة.

يصدق ظن يوسف بأن الجيش الصهيوني سيخلق أسبابا لغزو لبنان، وحتى تكون عائلته في مأمن يسعى مع ماجد لأن تعود آمال إلى الولايات المتحدة وتنضم إليها لاحقا فاطمة وفلسطين، في حين يبقى وصديقه ماجد في لبنان مع أفراد المقاومة. تُغادر آمال لطلب اللجوء لفاطمة وفلسطين، الأمر الذي يتطلَّب منها ما لا يقل عن الشهر لاستخراجه، وهو زمن لم يكن العدوان ليغفل عنه، فيعود بالكذبة المعتادة وادعاء حِفظ السلام، والقضاء على الإرهاب ليجتاح بالغزو والقذائف أرض لبنان ممتدا على طول ساحلها بجيش خلفَّ الموت والدّمار. ينتقل يوسف وماجد لإسعاف الضحايا ونقل الجثث أيام الغزو، يقرر أثناءها ماجد اللحاق بآمال لاطمئنان على ابنته التي لم يرغب أن تولد يتيمة من دون أب، ومع عودته إلى شقَّته استعداد للمغادرة يتلقى المبنى السكني قاذفة تنهار به؛ حيث يُقتل الأفراد كما يُقتل ماجد.

يتم الاتفاق على إنهاء الحرب بترحيل أفراد منظمة التحرير الفلسطينية من لُبنان، معها ينتقل المقاومون إلى تونس ويغادر يوسف، تاركا زوجته فاطمة وابنته فلسطين في عهدة

الضمانات التي قدمتها الدول الغربية بحفظ أمن العائلات في المخيمات، وقبلت بها السياسات العربية، اللحظة التي تنتهزها العصابات الصهيونية والميلشيات اللبنانية المتطرفة للقضاء على الوجود الفلسطيني المتبَقي من المدنيين والنساء والأطفال، فتعطي العصابات الصهيونية بقيادة شارون الضوء الأخضر للميليشيا المتطرفة لمحاصرة المخيم؛ حيث يتم سحق الوجود البشري في مجزرة عرف التاريخ أنها من أبشع المجازر وحشية في مخيمات صبرا وشاتيلا.

الصور التي غطت أخبار العالم تصل إلى آمال ويوسف، بتمثيلٍ كان الأكثر إجراما بالجثث، والأشلاء التي تكدست فوق بعضها بعد ذبحها ورميها بالرصاص، يلمح يوسف بينها عائلته: فاطمة التي شُقَّ بطنها بعد أن تم الاعتداء عليها وقتل الجنين في رحمها، وابنته الصغيرة فلسطين وقد ذبحها المجرمون ولآذوا بالفرار.

المرحلة التي يطرأ معها تغيير واضح على ذوات الشخصيات المحورية: آمال ويوسف، بعد فقدهما لعائلتيهما مجددا، والدفع بهما نحو شتات آخر؛ حيث تتعاظم المشاعر الحدَّية، وتنهار في نظرهم قيمة الحياة، ويبقى الاتصال الأكبر لهذه الشخصيات بالواقع قائما على اغتراب داخلي يلازمها، وتفصلها بعمق مع ذواتها وآلامها بعيدا عن حدود العالم الخارجي، فتنقلب شخصية يوسف المحبة الوادعة بتَغيير يطغى على حس المقاومة لديه ليتحول من مُقاوم بطولي، إلى مُنتقم عدائيّ يتطرف في رغبة الانتقام ويتجاوز معها كل الحدود التي يمكن أن تبلغها، حين يتعهد برَدٍّ ساحق على المجرمين.

"لَعَن يوسف إسرائيلَ والأمريكيين، ورونالد ريغان، وعرفات، والعالم، لم يُوَفِّر زعيمًا ولا إلهًا ولا شيطانًا"[77]، تتعاظم مشاعر الغضب في ذات يوسف، ويَرى صمت العالم تواطئا

[77] سوزان أبو الهوى، بينما ينام العالم، المصدر نفسه، ص336.

مع الأعداء لا يُغتفر، لتتحوَّل إلى رغبة كامنة لديه في تجريع العدو شـــدة الألم الذي دمَّر حياته، "لقد حُرم، وسُجن، وعُذِّب، وأُهين، ونُفي؛ بسبب الرَّغبة في أن يتملَّك نفسه، وأن يرث الميراث الذي ورَّثه إياه التاريخ"[78]، والصـور المظلمة القاتمة المليئة بالوحشـية في الإجرام الذي مزَّق المخيم، ومشاهد تقطيع الجثث حلَّت محل أجمل الصور التي عرفها يوسف، ومحل الحب الذي عاش أيامه الأخيرة عليه، المشاهد حاصرت شخصية يوسف ولاحقته في كل مكان: "أنا رجل مســكون، تمتلكني الآن جثثهم. العاصــفة تتكوَّن في داخلي. لا أنام ولا أســتطيع رؤية الشــمس. حنقٌ شــيطانيٌّ يفور في عروقي، لعله يكمن بعد رحيلي. لعلكم تتذوَّقون مرارته. أســعى للانتقام، لا أكثر. لا أقل. وســوف أحصــل عليه. ولن ترَوا أيَّ رحمة"[79]، رسالة أخيرة يتركها يوسف قبل التوجه إلى بيروت، وتسرد عنه آمال: "ذهب أخي إلى غير رجعة. اجتاز الهاوية الملهبة التي مازلت أجثم أمامها، وهبط على شــاطئ الانتقام الهادئ الطليق. لقد تَرك روحه تهيم في صــبرا وشــاتيلا؛ حيث تمدَّدت زوجته وابنته في مقبرة جماعية تحت أكوام القمامة، في ظلِّ حصانة قاتليهم، في إطار الوعود الزائفة للقوى العُظمى، وتحت لامُبالاة العالم تجاه الدم العربي المسفوك".[80]

تتضــائل رغبة البقاء على قيد الحياة مع شــخصــية آمال، فتحاصــرها الرغبة التامَّة بالتوقف عن مواصلة الحياة مع ولادة ابنتها سارة: "أبقيتُ مسافة ما بيننا، فرضَت عليَّ هذه الرضــيعةُ الرقيقة إرادة الحياة، وأنا اســتأتُ منها لأجل ذلك، لأن كُل ما رغبتُه حقًّا في ذلك

[78] المصدر السابق، ص354.
[79] المصدر السابق، ص357.
[80] المصدر السابق، ص344.

الوقت، هو أن أموت"[81]، مرحلة الاغتراب التي لاحقت شخصية آمال هي انعكاس مماثل للمشاعر التي لاحقت داليا فيما مضى، فتتراجع مقدرة آمال كأُم على التقرب من ابنتها سارة في العديد من الأحيان إلا بإبقاء مسافة بينهما، وفي أحيان نادرة أخرى تحملها لتُحيي معها لحظات الذكرى القديمة للصباحات التي جمعتها فيما مضى بأبيها، تقرأ لسارة في ساعات الفجر التي لم تغادرها: "هزَزتُها على صدري، وأنا أقرأ لها عند الفجر، كما كان يقرأ لي والدي في أيام الحب التي ولَّت منذ زمن بعيد"[82]، يتم استدعاء آمال على خلفية عملية التفجير الانتحاري لمبنى السفارة الأمريكية في بيروت، وترفض آمال تصديق التهم الموجهة إلى يوسف في حين تجتاحتها الرهبة من أن تكون هي الحقيقة. تخضع آمال لمراقبة دائمة في الأيام اللاحقة من قِبل الشرطة.

العزلة التي تفرضها آمال على نفسها تدفع بابنتها سارة لمعرفة الحقيقة عن أصول والديها وخلفياتهم التي غُيِّبت عنها، فتنضم بالتطوع في مراحل دراستها الجامعية مع جماعة منظمة العفو الدولية المحلية، ومجموعة ناشطة تدعى: "طلاب من أجل العدالة في فلسطين".[83]

- **بين الذات والآخر، دافيد وتضارب هَويَّتين**

وفي فصل آخر من فصول الرواية، يعترف موشيه قبل وفاته لدافيد بحقيقة كونه ابنا مختطفا من عائلة فلسطينية، السر الذي شكَّل بمرور الأعوام عبئا ثقيلا على موشيه بفعل

---

[81] المصدر السابق، ص354.

[82] المصدر السابق، ص364.

[83] سوزان أبو الهوى، بينما ينام العالم، المصدر نفسه، ص378.

الأشباح التي لاحقته عن صورة داليا وهي تصرخ بحثا عن ابنها. المرحلة التي تشكِّل صدمة لشخصية دافيد الذي يكتشف أنه عاش في كذبة طوال حياته "ألقت هذه المعرفة بدافيد في هوَّة واسعة بين الحقيقة والأكاذيب، بين العربي والإسرائيلي، بين المسلم واليهودي"[84]، هوية يُصبح فيها مشتتا بين عالمين، إلا أنه يؤثر الرحيل والبحث عن هويَّته والعائلة التي انتُزع منها،

أما يولانتا فخوفا من فقدان الطفل الذي أحبته وربته تُقدم الاعتذار عن خداعها وتترك لدافيد حرية الاختيار والبحث عن عائلته الفلسطينية، ويظهر التناقض واضحا في شخصية يولانتا وأفعالها، فالاعتذار الذي تقدمه بعد اكتشاف دافيد للحقيقة يأتي خوفا من فقد دافيد، ومع تركها له حرية القرار، إلا أن اللحظات التي كانت لتُقدَّر"لإسماعيل" وسط أفراد عائلته، وآلام الفقد التي مزَّقت واقع عائلته بغيابه، وتركت حسن للأسى وأمَّه داليا للجنون لم تكن لتعوض مع اعتذار فات عليه الأوان.

الحقيقة الأولى تعيد آمال ودافيد بعد لقاءهما الأول في أرض الاغتراب إلى طريق موطنهما الأول إلى إرثهما وتاريخ أجدادهما والعائلة في فلسطين، يعود الأخوان برفقة أبناءهما، وتعبر آمال حواجزا مُصطنعة تضاعفت في وطن تغيرت معالمه كثيرا في غيابها، مرورا بالقدس والمخيمات حيث ترى آمال التغيير الذي شوَّه معالم الأرض كما شوَّه حياة الأفراد وملامحهم وذكرياتهم، تلتقي آمال بآري وهو أستاذ في الجامعة العبرية ظل محتفظا بفكر حيادي، ينبذ العنف والظلم السياسي، يحسن آري الترحيب مدهشا بأبناء صديقه الوفي: آمال ودافيد

[84] المصدر السابق، ص375.

وسارة ويعقوب ليعيد لهما سرد ذكريات الطفولة وماض بعيد مع صديقٍ غامر لإنقاذ حياته وحياة عائلته.

بالعودة إلى مخيم جنين تلتقي آمال بعمها درويش وصديقتها هدى حيث تُمضي الأيام في منزلها، حين يُفرض الحصار لتسعة أيام يهاجم فيها جنود الاحتلال المخيم؛ حيث يتم اعتقال أصغر أبناء هدى "منصور" مجددا بعد اعتقاله السابق في السادسة من عمره، ليعود مُقابل فدية قدرها خمسمائة دولار يفرضها الاحتلال لاستعادة منصور، وقد فقد القدرة على الكلام.

الحصار المشدد الذي يفرضه الآخر الصهيوني المحتل بغزو الداخل الفلسطيني، المكان الخاضع لسيطرته المسبقة وسلطتة القامعة، ومستوى الحصار الذي يحيط بجنين في معركة تجمع الذات الفلسطينية والآخر الصهيوني المحتل الذي يفرض الموت بكل أساليبه بقطع وصول امدادات الماء والطعام، وقتل الشبَّان وخطف الأطفال. نفاذ الماء والطعام الذي يدفع بآمال للخروج في اللحظات الساكنة بعد فجر اليوم التاسع من فرض حظر التجوال، وفي ظنها أن الخطر قد ابتعد عن المخيمات، لتُصدم بشاحنة مليئة بالجثث، بينها جثة جمال الإبن الآخر لهدى وهي مُشوَّهة "كان معلَّقاً ميتا على وتدٍ معدني ناتئ على جانب مبنى مهدَّم جزئيًّا. كانت عصابة رأسٍ ذات تربيعات سودٍ وبيض لا تزال تتشبَّث برأسه"[85]. ترفع آمال عينيها حين تلمح قناصة أحد الجنود من على بعد وهي مصوبة تجاهها، وتلتفت لتلتقي بمسدس آخر مصوب إلى جبهتها. تُقبل آمال مستسلمة إلى الموت بلا خوف إلى اللحظة التي

[85] سوزان أبو الهوى، بينما ينام العالم، المصدر نفسه، ص447-448.

انتظرتها: "أشعر بصفاءٍ لا يُمكن تفسيره. الموت يَغمُرني في يقينه واحترامه وسكينته المستحقة قبل أن يأخذ بيدي"[86].

- **الأخر الصهيوني: سيكولوجيا القتل والاستعمار المكاني**

بتفعيل تقنية الحوار الداخلي المونولوج تتعمق آمال في خلفية الآخر المواجِه لها، وتبحث في الدافع النفسي للجندي الشاب الذي سخر نفسه لسلوك الإجرام، وتم استعماله لحساب أجندة صهيونية وتحويله إلى آلة قتل عدوانية. تُشفق آمال عليه، فهو أصغر من أن يكرس حياته لمثل هذه المهمة، "أشعر بالحزن لأجله. لأجل الصبي المكبَّل إلى القاتل. أنا حزينة لأجل الشباب الذين يخونهم قادتُهم من أجل رموز وأعلام وحرب ونفوذ"[87]، وتقارن في خيالها صورته بصورة دافيد الذي حمل الضياع والتعصب ذاته في الماضي، متقبّلة اغترابه عن ذاته وهويته الأولى. المشهد الذي يُحيل إلى حقيقة ما يفرضه المجتمع الصهيوني الإسرائيلي من قرارات وأفكار متطرفة في دعم غاياته، فيُقدم الشباب على اعتناق أفكار تدعوهم منذ مراحل عمرية مبكرة إلى البقاء في حالة من التأهب لحرب دائمة، ويتم حثهم على الانضمام لوحدات التجنيد الإجباري، وهو ما تبرزه الأحداث المتتابعة أيضا من خلال شخصية دافيد السابقة ورفاقه في الجيش؛ فقد أصبحت الحروب بالنسبة لوجدان الآخر الصهيوني الإسرائيلي حقيقة وجودية ترى حالة الحرب كما لو كانت حالة نهائية ودائرة مُغلقة لا فكاك منها وبناءا

[86] المصدر السابق، ص448.

[87] المصدر السابق، ص449.

عليها تحول المجتمع الإسـرائيلي إلى ثكنة عسـكرية تُعطى فيه القيم العسـكرية وعلى رأسـها النزعة العدوانية المقام الأول في جَو يكون فيه العربي هو العدو اللدود.[88]

تندفع سـارة لمنع الجندي من قتل أمها، وقد أصـبحت مكشـوفة لقناصـة أخرى، وتدفع آمال ابنتها مُرعبةً من فكرة فقدٍ آخر، لتفتدي ابنتها حين يطلق عليها الجندي النار وتسقط آمال قتيلة. الحلم الأخير لآمال بالعَودة استحال إلى موت على وطن أحبته وخسرت عليه كل شـــئ. لم تَجبُن آمال أمام الموت الذي أخذ كل أفراد عائلتها وجاء ليأخذها وهي مسـتسـلمة، كان عليها أن تحمي آخر ما تبقى لها: ابنتها التي وجدت في رفقتها وفي أيامهما الأخيرة معا في جنين الحب المماثل للوطن "سارة. أجمل أغنية في حياتي. سارة هي وطني"[89] تُدفن آمال في مقبرة جماعية مع ثلاث وخمسـين جثة أخرى، ويُطوى إلى النسـيان تاريخ مجزرة أخرى امتلأ بالقتل والإجرام، في حين أن الفكر الحيادي الذي قدمته آمال بتطلع صـادق إلى خلفية الجندي ودوافعه تلاشـــت إلى لحظة بلا معنى، أمام اختيار خاص للاندفاع في طريق الإجرام في تصفية الضحايا بلا اعتبار أو معنى، حين يُلحظ في استنتاج صحف غربية أن ما وقع لم يكن مذبحة وإنما "مسلَّحون فقط هم من قُتلوا في جنين"[90]، لتغادر القوات الصهيونية، ويبقى ما ألحقته بالمخيم من قتل ودمار؛ حيث تمضـي سـارة أيامها الأخيرة، تكتب للعالم عبر شبكات التواصل عن أمها والأرواح التي فارقت الحياة.

يصـحب آري ودافيد سـارة للتعرف على منزل جدها الأول في عين حوض، القرية التي تم تهويد معالمها حيث تمنع ســـارة من الدخول من قِبل امرأة يهودية أخذت منزل جدها

---

[88] رشاد عبدالله الشامي، الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، المصدر نفسه، ص211.

[89] سوزان أبوالهوى، بينما ينام العالم، المصدر نفسه، ص451.

[90] المصدر السابق، ص463.

حسن وإرث أبيه يحي: "عندما أدرَكت أنَّ هؤلاء الغُرباء الواقفين أمام باب منزلها يتجولون في رحلة من الحنين الفلسطيني، رفضت أن تُدخِلهم، أنا أعرف ما هو الموضوع. عليكم أن تفهموا أنَّ هذا البيت هو ملْكنا الآن"[91]. ترحل سارة مُكتفية بالتقاط صورٍ لقرية لم يبقى من معالمها القديمة سوى أجزاء من القبور، وأخرى شاهدة على نهب اليهود وتدمير حضارة كاملة، وماضي عائلة تَشبثت بالبقاء على أرضها وفَقدت جميع أفرادها في رحلة المقاومة. تُرحَّل سارة إلى الولايات المتحدة بعد أن يتم وضع اسمها ضمن الذين تشكِّل كتاباتهم المتعددة على الشبكة تهديدات أمنية.

- **الآخر الإسرائيلي وقرار الحِياد**

تتضح معالم الآخر الحايدي من خلال شخصية ابن دافيد يعقوب الذي يجد اختلاف هويَّة والده أمرا مثيرا للاهتمام بعد انفصال دافيد عن زوجته التي ترفض فكرة كونه يهوديا غير أصيل وتراه عارا لعائلتها؛ ليغادر معها ابنها يوري الذي يفضل البقاء كجندي إسرائيلي، في حين يُقبِل يعقوب على حقيقة اختلاف والده ويجدها مشوقة لمعرفة المزيد عن ماضي والده وعائلته العربية، ويغادر معه للتعرف على خلفيته الحقيقية.

بعودة سارة إلى الولايات المتحدة إلى منزل والدتها الذي كبرت فيه ينضم إليها منصور ابن هدى ويعقوب ابن خالها دافيد حيث يستقر الجيل الرابع معا، في صورة أخيرة تشكل فارقا تطرح الكاتبة من خلالها فكرة التعايش السلمي بين مختلف الأطراف أمرا ممكنا؛ حيث يجتمع أفراد بهويَّات ومعتقدات متعددة تحت سقف واحد، قرروا العيش معا رغم كل الفوراق فيما بينهم بعيدا عن عالم الحرب السياسية والعنف: "بالأمس كنتُ هناك، وعلَّق

[91] المصدر السابق، ص464-465.

أسامة على كيفية عَيشِ أولادنا معا مثل الأشقاء في بيتكِ في بنسلفانيا. أمريكي وإسرائيلي وفلسطيني. قالت هدى: كم هو رائع ذلك!".[92]

لعل ما تراه الكاتبة في تلك الصورة احتمالا قائما هو أمر ممكن، لكن على خارطة أخرى لم تعرف المجازر والقتل والعدوان، أو دائرة تكون هي الأبعد عن الصراع اليومي القائم على حرب متواصلة، أو على أرض أخرى لم تُنهب من أبناءها. يخلوا تاريخها من انتزاع قائم على احتلال استعماري عسكري، وجرائم عصابات لا يُسقط حقها التقادم.

فيما يكشف الفصل الأخير من الرواية عن سرٍ تسرده شخصية يوسف، الذي آثر الرحيل على الانتقام والبقاء في منفى آخر مجهول في أحد أراضِ الشتات: "أعلم أنه لا يُمكنني تدنيس حب فاطمة بالانتقام. وعلى قدر ما أريدهم أن ينزفوا، لن ألطِّخ اسم والدي بالأكاذيب التي سوف يقولونها. لا أستطيع أن أترك آمال وحيدة في العالم"[93]، فيجمع يوسف آلامه ويغادر أرض لبنان منتصرا على رغبته في الانتقام والرد المماثل، "سوف أعيش هذا الألم، ولكني لن أتسبب فيه. سوف أبتلع غيظي وأسمح له بحرق أحشائي، لكن الموت لن يكون إرثي"[94]، وبعيدا عن ما يلفَّق باسمه من تُهم، وما تحاول إحدى الجماعات تغريره به إلا أن يوسف يرفض مقابلة الإجرام المرتكب في حق عائلته بجُرم آخر في حق أفراد أبرياء، بل يؤثر الرحيل والبقاء بعيدا عن أنظار أعداءه.

---

[92] سوزان أبو الهوى، بينما ينام العالم، المصدر نفسه، ص468.

[93] المصدر السابق، ص469.

[94] المصدر السابق، ص470.

النتائج

بالاطلاع على التجربة الابداعية لرواية بينما ينام العالم والتعرف على أبعاد صورة الآخر من خلالها يتضح ما هو آت:

- شكَّلت أعمال سوزان أبو الهوى من خلال مؤلفاتها الشعرية والروائية تجربة حداثية جديدة تضاف إلى قائمة النتاج الإبداعي للكتاب الفلسطينيين، كما شكَّلت أعمالها الروائية إضافة جديدة لأدب المقاومة الفلسطيني بلغة أجنبية، نقلت من خلالها واقع المأساة في الأراضي الفلسطينية، ودور المقاومة في التصدي لعدوان الاحتلال، وتصويرٍ يصحب أحداثا تاريخية ويومية عن واقع الحياة الفلسطينية عن قرب في سرد إبداعي، يجمع بين النثر والوصف بلغة شعرية.
- بنقلها للحقائق التاريخية للقضية الفلسطينية بلغة أجنبية تفتح سوزان أبوالهوى مسارات جديدة للرواية الفلسطينية وسط الساحات الغربية مما يسهم في دحض المغالطات التاريخية التي تقابلها في الأدب الصهيوني.
- على الرغم من كون سوزان أبوالهوى طرفا في النزاع القائم وضحية للعدوان الذي تضررت منه عائلتها بشكل مباشر عام 1967م، بتشريد عائلتها ونفيهم القسري وتحويلهم إلى لاجئين، إلا أن سوزان تمكنت من الاحتفاظ بنظرة موضوعية تجاه الآخر، وقد جسدت شخصياتها في حيادٍ تتبعت من خلالها مختلف خلفياتها ودوافعها الاجتماعية والسياسية.
- حافظت سوزان أبو الهوى في تقديمها لشخصية الآخر على المصداقية في الطرح تجاه الشخصيات وهو ما أكدت عليه سوزان في العديد من مقابلاتها، ولم تغفل

مشاعرها الإنسانية تجاه الآخر أثناء تجسديها لصورته، مع حفاظها على مبدأ أحقية شعبها في النضال ورغبتهم في استرداد حقوقهم ووطنهم.

- تعددت الشخصيات التي مثلت صورة الآخر من مختلف الفئات من المجتمع اليهودي الذي قدم من الغرب إلى أرض فلسطين، كما تعددت أبعادها ودوافعها النفسية، فهو الصديق، والمثقف الغير المعادي للذات الفلسطينية، وفي صورة أخرى هو المجرم القاتل، والمختطف العدواني، والمحتل الاستعماري، وهو أيضا في صورة المحايد الذي يتقبل العيش مع الذات الفلسطينية رغم الاختلاف ويتعايش معه من غير عدوان.
- طرح فكرة التعايش السلمي كنهاية محتملة بين مختلف الطوائف في حال الابتعادها عن دائرة العنف والعدوان والتطرف السياسي من خلال النص يعكس انفتاح الكاتبة على الثقافات الأخرى ومعايشتها لمجتمع يضم مختلف الطوائف في بيئة واحدة بعيدا عن مظاهر الصراع اليومي.
- يتضح مبدأ المقاومة كقيمة أساسية لم تتنازل عنها الذات الفلسطينية على مرور الأزمنة، جمعت بين الأجيال المتعاقبة بدءا من الجد يحي ومرورا بابنه حسن، وحفيده يوسف، قاوموا العدوان جميعا، كل أعطى بقدرته ما يملك. يحي بإصراره على العودة إلى قريته والاطمئنان على أرضه، غير مبالٍ بالعدو أو الموت الذي يتوعده، حسن بحضوره القيادي في المخيم، بتجميعه للسلاح وادخاره وتوزيع أماكن المقاتلين، يوسف مع أحداث النكسة ومغادرته للوطن في أعقابها واللحاق بحركة المقاومة كحل أولٍ وأخير، مُتجها إلى الأردن ومنها إلى لبنان.

- تعدد مواقف النضال وتجلي ملامح المقاومة في العمل يصنفه كعمل يضاف إلى نتاج أدب المقاومة الفلسطيني.

المصادر والمراجع

1– المصادر:

Suzan; Abu Al-Hawa, Bainama Yanamu Al-'Alam, Trajamah: Samiyah Shanan Tamimi, Qatar Dar Blomazbari, Mu'assasah Qatar Lilnashr, 1st edition, 2012.

Abulhawa, Susan. Mornings in Jenin. Bloomsbury Publishing, 2010.

2– قائمة المراجع العربية:

'Asmama' Yousif Dayyan Saleh, Al-Surilugia Fi Al-Riwayah: Muqaranah Baina Riwayat 'Arabiyyah Wa 'Amrikiyyah Mukhtarah, Risalah Majstir Fi Al-Lughah Al-'Arabiyyah Wa 'Adabuha, Jami'ah Thi Qar, 2014.

Anwar Muhammed Al-Turah, Tahawwulat Al-Ru'ya Fi Shi'r Mahmoud Darwish, 'Utruhat Doctorah Fi Al-Dirasat Al-'Adabiyyah, Jordan, Jami'ah Mu'tah, 2016.

Bini Moris, Maulid Mushikillat Al-Laji'iin Al-Fillastiniyiin, Tarjamah: 'Imad 'Awwad, Kuwait, Silsilat 'Alam Al-Ma'rifah, Al-'Adad 7, 2013, Juz' 2.

Rashad 'Abdul Shami, Al-Shakhsiyyah Al-Yahudiyyah Al-'Israa'I;iyyah Wa Al-Ruh Al-'Idwaaniyyah, Kuwait, Silsilat 'Alam Al-Ma'rifah, Al-'Adad 102.

Salman Hussein Abu Sittah, 'Atlas Felastine 1917-1966, London, Hai'at 'Ardh Filastine, 1st edition, 2011,

Suzan Abu Al-Hawa, Al-‘Azraq Baina Al-Sama Wa Al-Maa’, Tarjamah: Muhammed ‘Usfour, Qatar: Dar Jami’ah Hamad Bin Khaliphah Lilnashr, 1st edition

Sharif Kana’nih, Bassam Al-Ka’bi, Al-Qura Al-Felastiniyyah Al-Mudammarah: ‘Ain Haudh, Amman, Jami’at Biir Ziit, Markaz Al-Wathaa’iq Wa Al-‘Abhath, Juz’ 1.

Tariq Suwidan, Felastine: Al-Tarikh Al-Musawwar, Kuwait, Sharikat Al-‘Ibda’ Al-Fekri.

‘Aziz Haydar, Al-‘Akhar Al-‘Arabiyy Wa Al-‘Akhar Al-Felastiny Wa Al-‘Akhar Al-‘Isra’iliy Fi Nazar Al-Felastiniyin Fi ‘Israil**,** Fi Kitab: Surat Al-‘Akhar Al-‘A rabiyy Naziran Wa Manzuran, Tahrir: Al-Tahir Labib, Beirut, Markaz Dirasat Al-Wihdah Al-‘Arabiyyah, Al-Jam’iyyah Al-’Arabiyyah Li’ilm Al0’Ijtimaa’, 1st edition, 1999.

Ghasan Kanafani**,** Fi Al-‘Adab Al-Suhyuni, Misr, Al-Qalyubiyah, Dar Al-Watan Liltab; Wa Al-Nashr Wa Al-Taauzii’, 1st edition, 2016.

Fathi Abu Al-‘ainain, Suurat Al-That Wa Surat Al-‘Akhar Fi Al-Khitaab Al-Riwa’I Al-‘Arabiy: Tahlil Siciology Liriwayat Muhawalah Lilkhruj, Fi Kitab: Surat Al-‘Akhar Al-‘A rabiyy Naziran Wa Manzuran, Tahrir: Al-Tahir Labib, Beirut, Markaz Dirasat Al-Wihdah Al-‘Arabiyyah, Al-Jam’iyyah Al-’Arabiyyah Li’ilm Al0’Ijtimaa’, 1st edition, 1999.

Mas’ud Shukri, Suurat Al-‘Akhar Al-‘Isra’ily Fi Riwayat Al-Mutashaa’I’ Li’imig Habibi, Lajalt ‘Idha’aat Naqdiyyah, Al-‘Adad 26, June 2017.

Mariah Haj Ali, Al-Huwiyyah Wa Sard Al=’Akhar Fi Riwayat Ghasan Kanafani, Doctorah, Algeria, Jami’at Khidir Baslarah, Kulliyyat Al-‘Adaab Wa Al-Lughaat, Qism Al-Al-Lughah A’adaab Wa Al-Lughah Al-‘Arabiyyah, 2017.

Misk Mustapha Marrar, Al-Shakhsiyyah Fi Al-Riwayah Al-Felastiniyyah: Riwayat Anwar Hmod 'Unmuthajan, Majistir, FinAl-Lughah Al-'Arabiyyah, Jami'at Bir Zeet, Felastine

Norman Fenklastine, 'Israil, Felastine Lubnan: Rihlat 'Amirikiy Yahudiy Bahthan 'an Al-Haqiqah Wa Al-'Adalah, Tarjamah: Samah Anwar, Dar Al='Adaab, Beirut, 1st edition, 2008.

Widad Andul Fattah Khaliphah, Al-Trajidah Al- 'Insaniyyah Fi Riwayatai Qisah 'An Al-Hubb Wa Al-Zalam Li'aamus 'Uz wa Bainama Yanam Al-'Alam Lisizan Abu Al-Hawa:Dirasah Muqaranah, Cairo, Jami;'ah Al-'Azhar, Kulliyyah Al-Dirast Al-'Insaniyyah.

3– قائمة المراجع الأجنبية:

Abulhawa, Susan. *My voice sought the wind*. Just World Books, 2013.

Abulhawa, Susan. *The blue between sky and water*. Bloomsbury Publishing, 2015.

Abulhawa, Susan. *Against the Loveless World: A Novel*. Simon and Schuster, 2020.

Abulhawa, Susan. *The Scar of David: A Novel*. Journey Publications, 2006.

Abu-Shomar, Ayman M. "Diasporic Reconciliations of Politics, Love and Trauma: Susan Abulhawa's Quest for Identity in" Mornings in Jenin"." *Advances in Language and Literary Studies* 6.2 (2015): 127-136.

Abu-Shomar, Ayman. "Unreconciled Strivings of 'Exilic Consciousness': Critical Praxis of Resistance in Susan Abulhawa's Mornings in Jenin." *Journal of Holy Land and Palestine Studies* 18.1 (2019): 101-120.

Qabaha, Ahmad. ""Owning one's story is as important as the ownership of physical space": An Interview with Susan Abulhawa." *Bethlehem University Journal* 36 (2019): 133-139.

Raslan, Iman El Sayed. "Trauma and resistance in Susan Abulhawa's Mornings in Jenin." *International Journal of Arabic-English Studies* 17.1 (2017): 183-202.

4- المراجع الإلكترونية:

"Susan Abulhawa | "Mornings In Jenin"." *YouTube*, uploaded by Paul Shannon, 1 November 2012, https://www.youtube.com/watch?v=SD3yR_C9nYQ. Accessed 17 May 2022.
https://www.youtube.com/watch?v=SD3yR_C9nYQ